شروط

لا إله إلّا اللّه

أ. أناهيد السّميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

– هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

– الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

مقدّمة شروط لا إله إلّا الله

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نأخذ إن شاء الله في هذه الساعة المباركة مقدمة في الكلام حول شروط لا إله إلا الله.

إذا أتيت فقلت إن لـ "لا إله إلا الله" شروط، بماذا استدل لهذه الشروط؟ أليس كل من قال: (لا إله إلا الله) دخل الجنة؟!

نقول: النبي الذي قال: ((ما مِن عَبْدٍ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ثُمَّ ماتَ علَى ذلكَ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ))(١).

هو النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي قال: ((فمن لقيتَ من وراءِ هذا الحائطِ يشهدُ أنْ (لا إله إلا الله) مُسْتَيْقنًا بها قلبُه فبشِّرْه بالجنةِ))(٢).

وحين سُئل: (مَن أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟) قال: ((مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ))(٣).

وقال: ((مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مَن دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ علَى اللَّهِ))(٤).

فكل هذه النصوص تدل على أن (لا إله إلا الله) كلمة تنفع صاحبها لو أتى بما يثبّتها.

ونحن نعلم أن أهل النفاق قالوا: (لا إله إلا الله) لكن لم تنفعهم؛ ولذلك مثّل الله لهذا الأمر بمثلين عظيمين في كتابه: فضرب -سبحانه وتعالى- مثلًا ل (لا إله إلا الله) هذه الكلمة الطيبة التي نفعت صاحبها، كشجرة طيبة فقال: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ}(٥).

فالمقصد الآن أن تعلم كيف كان أصلها ثابت؟ كيف تثبت هذه الشجرة؟ هذه الشجرة -شجرة الإيمان- كيف كان أصلها ثابت وفرعها في السماء؟

هذا الذي نرجوه بكلمة (لا إله إلا الله) أن يكون أصلها في قلوبنا ثابت، وفرعها في السماء وثمراتها حلوة نذوقها؟

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣).

(٥) سورة إبراهيم: ٢٤.

فهذا الذي نرجوه، أن يكون أصل كلمة (لا إله إلا الله) في قلوبنا ثابت، وفرعها هو الأعمال التي تنتجها (لا إله إلا الله) في السماء ترفع إلى الله، وهذه الشجرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها،

- فشبّه -سبحانه وتعالى- الكلمة الطيبة في هذا المثل بالشجرة الطيبة.
- والكلمة الطيبة هي (لا إله إلا الله).
- وهذه الكلمة الطيبة لابد أنها تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع.

ولذلك جمهور المفسرين على قول إن الكلمة الطيبة هي: شهادة أن (لا إله إلا الله) فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله، هو ثمرة هذه الكلمة، فالكلمة الطيبة هي الإيمان؛ فكأنك تقول: "الإيمان لابد أن يكون له أصل ثابت، ولابد أن يكون له فرع، ولابد أن يكون له ثمرة" فهذه شجرة التوحيد في القلب طيبة:

- أصلها ثابت بتحقيق شروط (لا إله إلا الله).
- وفرعها في السماء من الأعمال الصالحة صاعد إلى الله عز وجل.
- ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لهذه الكلمة، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها، فمتى ترسخ هذه الكلمة ولا تكون مثل الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض، ما لها من قرار؟

فكلمة (لا إله إلا الله) إذا لم يكن صاحبها صاحب علم ويقين وقبول وانقياد وصدق في قوله لها، وإخلاص ومحبة، من المؤكد إذا فقد هذا ستكون كلمته هذه ليست الكلمة الطيبة المرجوّة؛ ولذلك مثل هذا الشخص ماذا يحصل له؟ أقل بلاءات، أقل اختبارات يتعرّض لها؛ تجده على حرف؛ ولذلك الله -عز وجل- يقول في سورة الحج: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ}[1].

فكلمة (لا إله إلا الله) اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار في قلبه.

إذًا من رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها -التي هي تحقيق هذه الشروط فعرف حقيقة الآلهية وتيقّن بها، ثم شهد لسانه بذلك وصدّقت جوارحه- سيكون هذا هو الذي ثبتت الكلمة الطيبة في قلبه، وهذه الكلمة الطيبة حين

(١) سورة الحج: ١١.

تثبت كما ينبغي؛ لا تزال تدفع صاحبها للعمل الصالح، وهذه الكلمة هي التي يرفع بها العمل الصالح إلى الرب {إليه يصعدُ الَكِلِمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفَعُهُ}[1] ففي هذا إخبار منه -سبحانه وتعالى- بأن العمل الصالح يصعد إليه -سبحانه وتعالى- **لكن ما الذي يرفع العمل الصالح؟**

يرفعه الكلم الطيب، {إليه يصعدُ الَكِلِمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفَعُهُ} إذًا الضمير في {يرفَعُهُ} عائد على ماذا؟

فيه خلاف لكن من بين معانيه أنه عائد على الكلم الطيب، فالكلم الطيب هو سبب رفع العمل الصالح؛ فمعناها أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملًا صالحًا، فلا زلنا نكرر أن كلمة التوحيد إذا شهد المؤمن بها، عالمًا بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا، وصل هذا العلم إلى درجة اليقين في قلبه، ثم رأيت آثار ذلك قبولًا وانقيادًا، وهو في هذا كله صادق مخلص، محب لهذه الكلمة ولمستلزماتها، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل، وأصلها ثابت راسخ في قلبه وفروعها متصلة، مرفوعة إلى السماء، ترفع العمل الصالح إلى السماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت، فبهذا يتبين لك هذا المثل العظيم وتفهم ما سبب الثبات، فأنت تعلم أن الشجرة لا بد لها من عروق في الأرض ولها ساق وفرع يعلو في السماء، ويخرج منها ثمرات:

- فجذرها وعروقها التي في الأرض: العلم واليقين وكل شروط (لا إله إلا الله) هي سبب ثبات هذه الكلمة في الأرض.
- وفرع هذه الشجرة: الأعمال، لماذا فرعها في السماء؟ نحن ذكرنا {إليه يصعدُ الَكِلِمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفَعُهُ}.

إذًا العمل الصالح يُرفع إلى السماء بسبب الكلم الطيب، فهذه شجرة في الأرض ثابتة ولها فرع في السماء كما أن كلمة (لا إله إلا الله) في قلب المؤمن ثابتة، وفرعها وهو الأعمال يُرفع إلى السماء بسبب وجود الكلمة الطيبة، فأصل الشجرة الثابت سبب لأن يُرفع الفرع في السماء، وأنت ترى الآن إذا لم تكن الشجرة أصولها في الأرض ثابتة، لا يمكن أن يرتفع فرعها إلى السماء، فعلى قدر تعمّق جذورها على قدر ارتفاع فرعها، **فكذلك كلمة التوحيد على قدر تعمّق جذورها في القلب على قدر ارتفاع الأعمال الصالحة**، على قدر وجود كلمة (لا إله إلا الله) بالعلم واليقين وما يلحق ذلك من شروط (لا إله إلا الله) على قدر ارتفاع الأعمال إلى السماء؛ ولذلك أنت ترى أن الشجرة لا تبقى حيّة إلا بمادة تسقيها وتنمّيها، فإذا قطع عنها السقي أوشكت أن تيبس، فكذلك شجرة الإيمان في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت، بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتّذكر على التفكر والتفكر على

(١) سورة فاطر: ١٠.

التّذكر، إذا لم يفعل هذا أوشكت أن تيبس؛ ولذلك أنت تعرف في الحديث: ((إنَّ الإيمانَ ليَخلَقُ -يخلق بمعنى يبلى- في جوفِ أحدِكم كما يَخْلَقُ الثوبُ، فاسألوا اللهَ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم))[1] فلذلك الغرس إن لم يتعاهده صاحبه أوشك أن يهلك.

ومن هنا تعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات، على تعاقب الأوقات، فكل العبادات تعتبر سقي لشجرة الإيمان في قلبك، فالعلم سقي لشجرة الإيمان في قلبك، ومن عظيم رحمة الله وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده أنه جعل لهم مادة لسقي غراس التوحيد.

وهذه المادة هي العلم الذي يربي الله -عز وجل- عليه عباده فيتحول إلى يقين.

فأنت بعدما تتعلم الحق يريك الله، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[2] فلذلك عندما تتعلم الحق ترى كيف يعاملك الله عز وجل، فيزيد قلبك يقينًا بما معك من الحق، وأنت تعلم أيضًا أن الغرس والزرع قد أجرى الله العادة أنه لا بد أن يخالطه ما يفسده، فإذا تعاهده الزارع ونقّاه كمُل الغرس والزرع؛ فلذلك أنت محتاج إلى سقي هذه الشجرة وتنقية ما حولها، فبسقيها تبقى وتدوم، وبتنقية ما حولها تكمل وتتم، وتنقية ما حولها هو البعد عما يضاد هذه الشروط.

- فكن من أهل العلم وابعد عن الجهل.
- كن من أهل اليقين وادفع الشك.
- كن من أهل القبول وادفع الرد.
- كن من أهل الانقياد وادفع الترك.
- كن من أهل الصدق وادفع الكذب.
- كن من أهل الإخلاص وادفع الرياء.
- كن من أهل المحبة وادفع البغض.

فلذلك دائمًا تذكر الشروط بأضدادها، حتى تفهم كيف تدفع هذا، وأنت ترى في هذا المثل العظيم الشيء العظيم، فترى كيف أن الله ذكر لك أن ثمرتها أنها تؤتي أُكلها كل حين، وهذا الأُكل لا بد أن يكون طيبًا، وكذلك حلاوة الإيمان، طيبة نافعة، لو ذقتها لا تستبدلها أبدًا.

---

(١) صححه الألباني (١٥٨٥).

(٢) سورة محمد: ١٧.

وانظر إلى المثل المقابل: الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا عرق ثابت ولا فرع عالٍ ولا ثمرة زاكية، وهذه الكلمة الخبيثة ليس لها في القلب قرار، فصاحب هذه الكلمة ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع، ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض ولا يصعد إلى السماء.

وقد قال أهل العلم:

- الكلمة الطيبة مثل النخلة، أصلها ثابت وفرعها في السماء ودائمًا تؤتى أكلها.
- وقيل: إن الشجرة الخبيثة مثل شجرة الحنظل عروقها في السطح أقل شد يجعلها مهتزة، ثم كلما سقيتها زادت مرارة، فالحنظل في طعمه مر وساقه ممتد في الأرض، وجذوره سطحية، فبأقل كشف للتربة تراها تجتث، تُستأصل من فوق الأرض بكل سهولة.

ولذلك أصحاب الكلم الطيب أخبر -سبحانه وتعالى- أنه سيثبتهم بالقول الثابت أحوج ما يكون إليه في الدنيا والآخرة، وفي المقابل بعدله -سبحانه وتعالى- يضل الظالمين، فأضل هؤلاء بعدله، لظلمهم، وثبت المؤمنين بفضله لإيمانهم ولذلك أتت الآية بعدها مباشرة: {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}[1] فأنت لا تستغني عن تثبيت الله لك طرفة عين، فإن من لم يثبته الله —عز وجل- زالت سماء إيمانه وأرضه من مكانها؛ لذلك الله —عز وجل— قال لنبيه: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا}[2] فلذلك الخلق في أمس الحاجة لتوفيق الله للتثبيت، واعلم أن الله يثبتك على قدر فعلك لما أمرك به، إذًا من أين يأتيك الثبات؟ يأتيك على قدر موافقتك لما أمر الله، والله -عز وجل- أمر بأمرين:

- أمر بقول ثابت، الذي هو كلمة (لا إله إلا الله) وأنت وعدت بعد كلمة (لا إله إلا الله) أن يثبتك الله {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}
- وأمر العبد بفعل ما أمره به {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}[3].

إذًا أنت تثبت بأمرين:

١. بالقول الثابت، يعني منشأ التثبيت وأصله القول الثابت، بدليل آية إبراهيم.

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٧.
(٢) سورة الإسراء: ٧٤.
(٣) سورة النساء: ٦٦.

٢. وبفعل ما أمر الله به العبد، بدليل آية النساء.

إذًا أثبت الناس قلبًا أثبتهم قولًا، قولا المقصود به: كلمة (لا إله إلا الله) في قلوبهم، وأثبتهم فعلًا يعني موافقًا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

بهذا يتبين أهمية أن نتعلم (لا إله إلا الله محمدًا رسول الله) فأما (لا إله إلا الله) فعلى قدر ثباتها يكون القول الثابت، وأما شهادة أن (محمد رسول الله) فعلى قدر ثباتها يكون الفعل موافقًا لما أمر الله به.

فأنت تَعَلّم (لا إله إلا الله) وتعلّم ما يبقيها في قلبك، ما الذي يبقيها في قلبك من أجل أن لا تيبس فتخلع من فوق الأرض؟ الذي ستتعلمه لكي لا تيبس شجرة الإيمان في قلبك هو: "شروط لا إله إلا الله" فتعلمها وتعامل مع هذه الكلمة بما يجب، ومن أجل أن يبقى عملك على ما أمر الله به عليك بتعلّم السّنة وتعظيمها والعناية بها، وبذلك تكون محققًا للشهادة التي ترجو من الله أن يثبتك عليها في الحياة وعند الممات ووقت ما تلقاه، نرجو منه بمنة وكرمه – سبحانه وتعالى– أن يجعلنا من أهل القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم آمين.

وهذا الذي نرجوه لا بد أن لا يبقى أماني، لا بد من العمل للوصول إليه، **فما العمل؟**

١–حقق شروط (لا إله إلا الله) في كلمة لا إله إلا الله.

٢– حقق متابعة السنة في محمد رسول الله.

وبذلك لو أتيت بالأسباب عاملك الله بفضله فثبتك، ولو ابتعدت عن الأسباب حرمت ثمرتها أحوج ما تكون إليها، فتكون كلمتك هذه التي قلتها قد يبست فلا تنفعك، ولا يكون لها من قرار.

نسأله –سبحانه وتعالى– أن يعاملنا بفضله ويجعلنا ممن ثبت على هذا الأمر، وأن لا يجعلنا ممن عبد الله على حرف ونحقق هذه الشروط كما يحب –سبحانه وتعالى– ويرضى.

الشرط الأول: العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا لقاؤنا الأول في شرح شروط (لا إله إلا الله) وستكون طريقتنا محاولة شرح الشرط بالتفصيل واستيفاء الموطن الذي ورد فيه الشرط، على الأقل موطن واحد من المواطن نستوفيه فهمًا، وستتبين لكم خلال الشرح هذه الطريقة.

أولًا كما اتفقنا في المقدمة السابقة أن (لا إله إلا الله) كلمة تنفع صاحبها لو كانت ثابتةً في قلبه، فإذا كانت هذه الكلمة ثابتة في قلب المؤمن، وآمن بها كما ينبغي، وأتى بشروطها، سيكون فرعه في السماء، وستكون هذه الشجرة تؤتي أُكُلها كل حين، **لكن شرط هذا أن تكون كلمة (لا إله إلا الله) ثابتة في قلبه.**

ولذلك ضرب الله –عز وجل– مثلًا للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، ثم وصف هذه الشجرة بأنها تؤتي أُكُلها كل حين.

وقد مَرَّ معنا أن هذا معناه أن كلمة (لا إله إلا الله) في القلب ثابتة، فعلى قدر ثباتها يكون ارتفاع الأعمال، وعلى قدر هذا الارتفاع تأتي اللذّات بالطاعات، والشوق لها، وحبها، وتمنّيها، كل هذا من آثار الكلمة الطيبة التي تكون في القلب **فكيف تثبت هذه الكلمة؟**

تثبت بشروطها التي أخبرنا الله –عز وجل– بها، وعلى رأس هذه الشروط وأولها: **العلم.**

فإذا أردت أن تثبت كلمة (لا إله إلا الله) في قلبك فيكون أصل (لا إله إلا الله) ثابت، عليك بالعلم عن هذه الكلمة، عليك بالعلم عن (لا إله إلا الله) فهو خاصةً العلم الذي ينفعك عند الله، **فما معنى العلم بـ (لا إله إلا الله) وما حكمه؟ وكيف يزيد؟**

أما معنى العلم بـ (لا إله إلا الله): فأن يكون كُشِف عنك الجهل بمعناها، فلو سُئلت: ما معنى هذه الكلمة؟ تستطيع أن تقول:

- (**لا إله**): تنفي استحقاق أي أحد للعبادة والتعلق والتعظيم، وتُثبتها خاصة لله.

معنى العلم ب (لا إله إلا الله) أن تعلم معناها نفيًا وإثباتًا، وما يترتب على ذلك ويستلزم من حقوق وواجبات، فعليك أيها العبد أن تعلم أن عبادة غير الله باطلة وتأليه غير الله باطل.

فإذا أردت أن تعرف معنى التأليه: فانظر العرب كيف تستعمل هذه الكلمة، فالتأليه أصل مادته من: (الوله).

والمعنى: اجتماع التعلق والتعظيم في قلب العبد.

فالمطلوب الآن أن تعلم أنه لا يستحق التعلق والتعظيم إلا الله، انْفِ هذا التعلق، أخرجه من قلبك. التعلق والتعظيم بغيره، واعلم أنه لا يستحقه إلا الله، لكن يُمكن أن يُسأل: لماذا لا يستحق التعلق والتعظيم إلا الله؟

لأنه ما من كامل الصفات على الإطلاق إلا الله، وما من منعم على الإطلاق إلا الله، وما من مدبِّر على الإطلاق إلا الله، وما من مثيب للطائعين، معاقب للعاصين على الإطلاق إلا الله؛ ولذلك سيكون طريق العلم بالله هو هذا الطريق.

- **ما هو طريق العلم أنه لا إله إلا الله؟**

١) طريقه أن تتدبر أسمائه سبحانه وتعالى.

٢) وصفاته سبحانه وتعالى.

٣) وأفعاله الدالة على كماله وعظمته.

٤) وترى آثار تدبيره، وآثار نعمته الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فهذا لابد أنه يوجب لك تعلقًا به –سبحانه وتعالى– وتعظيمًا له.

ثم انظر كيف يعامل الله –سبحانه وتعالى– الطائعين وكيف يعامل العاصين؟ فسترى عجبًا من ذلك!

وأيضًا أنت تتعلم عن استحقاقه للألوهية حين ترى صفات كل أحد غير الله، وترى فقرها ونقصها وعدم قدرتها نفع نفسها ولا نفع غيرها، فأنت تتعلم عن استحقاق الله للألوهية حين ترى صفات غيره سبحانه وتعالى.

- **خطوات العلم عن الله:**

١– تدبر أسماؤه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى.

٢– النظر إلى تفرده بالخلق والتدبير.

٣– النظر إلى النعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية.

٤- ما تراه وتسمعه من الثواب لأوليائه والقائمين بتوحيده، ومن العقاب لأعدائه.

٥- معرفة أوصاف كل أحد غير الله.

٦-ما تراه في الآفاق وفي نفسك من علامات كمال صفاته سبحانه وتعالى.

٧- ثم إذا نظرت إلى الكُمَّل من الخَلْق الذين شهد لهم الناس بالأخلاق الحميدة والصفات الكاملة، ترى أنهم من أهل التوحيد، فتعلَم أنَّ الذي كمَّلهم ما معهم من توحيد.

٨- وإذا نظرت أيضًا إلى المنصفين من أهل الكتب السابقة ستراها ما دَعَتْ في أصلها إلا إلى التوحيد.

فهذا كله يدلك على ما يزيدك يقينًا بأن هذا هو الحق.

لو سألت الآن: **ما حكم تعلُّم لا إله إلا الله؟**

سنقول هذا فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد كائنًا من كان، بل هو الفارق بين أهل الإيمان وأهل النفاق.

وانظر إلى هذا الأمر المباشر أنْ نقول: (حكمه واجب لا يسقط عن أحد أبدًا) فانظر إلى ما يدل على ذلك، وانظر إلى كونه فارقًا بين أهل الإيمان وأهل النفاق:

انظر إلى قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم}(١).

فانقسم الناس إلى فريقين:

١) قوم على بيّنة من ربهم.

٢) قوم زين لهم سوء أعمالهم.

ثم جعل الله لكل فريق جزاء، فوصف الجنة -نسأل الله من فضله- ووصف النار -نعوذ بالله منها ومن أهلها ومن صفاتهم- فقال:

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ} ثم قال الله -عز وجل-: {كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}(١).

(١) سورة محمد: ١٤.

إذًا ذُكِرَ السبب أولًا الذي جعل هؤلاء بهذه الحال وهؤلاء بهذه الحال:

{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} هؤلاء الذين لهم وصوف الجنة.

{كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} هذا الذي له وصوف النا.

لذلك قيل له: (أفمن كان... ثم وصفت الجنة) مثل الجنة، وفي آخرها قال الله عز وجل: {كَمَنْ هُو خَالِدٌ فِي النَّارِ}. أي: من {زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ}{كَمَنْ هُو خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيْمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}.

الآن أتى السبب الذي يجعل أحد على بيّنة من ربه وأحد زين له سوء عمله، ما هو السبب؟

{وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَآنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ واتبعوا أَهْوَاءَهُمْ}[٢] إذًا هؤلاء كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهوائهم ما وصفهم؟

{وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَآنِفًا}.

ثم وصفهم الله –عز وجل– أنَّ هؤلاء: {أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ واتبعوا أَهْوَاءَهُمْ}.

إذًا من {زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} هذا هو الذي هذا وصفه أنه {يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} وهؤلاء هم الذين: {يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ}[٣] في نفس السياق.

{حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ} متبين أنَّ المقصود "المنافقون" لماذا؟ لأنهم كانوا يجلسون في مجلس النبي –صلى الله عليه وسلم– ويسمعونه، وهذه الآية دليل على أن المنافقين كانوا يحضرون مواقف النبي –صلى الله عليه وسلم– ووعظه ومواطن خطبه التي كان يلقيها النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين لكن إذا خرجوا {قَالُوا لِلَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ} أي: من علماء الصحابة مثل ابن مسعود وأبو الدرداء يقولون: {مَاذَا قَالَ ءَآنِفًا}؟ وهذا السؤال على سبيل الاستهزاء، ومعناه: أننا لم نلتفت لما قاله.

و{ءَآنِفًا}: كلمة تدل على الزمن ويراد بها: الساعة القريبة، أقرب الأوقات، فيقولونها استهزاءً.

فقال الله عز وجل: {أُوْلَئِكَ} إشارة إلى المنافقين.

---

(١) سورة محمد: ١٥.

(٢) سورة محمد: ١٦.

(٣) سورة محمد: ١٢.

- {الَّذِيْنَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} فلم يؤمنوا ولم تتوجّه قلوبهم إلى شيء من الخير.

- وأكيد أن السبب: {اتبعوا أَهْوَاءَهُمْ} وجروا وراء ما جروا من اعتقاداتهم أنهم يستطيعون مخادعة الله -عز وجل- ورسوله.

قابل هؤلاء القوم: {وَالَّذِيْنَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} فهؤلاء كلما سمعوا عن الله وعن رسوله زادهم هدى، فالعلم زاد المنافقين إعراضًا! والعلم زاد المؤمنين إيمانًا وعلًما وبصيرة وثباتًا، فلما زادوا علًما وإيمانًا وبصيرة وثباتًا {وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[1] أي: ألهمهم التقوى ووفقّهم إلى الأعمال التي يرضاها سبحانه وتعالى.

ثم عاد السياق للكلام حول المنافقين: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا}وأماراتها وعلاماتها ومنها: إرسال النبي صلى الله عليه وسلم.

{فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ}[2] أي: كيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة، ثم قال الله -عز وجل-: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ}[3] كأنه يقال: إذا رأيت ذلك **لابد أن تعلم علم اليقين أنَّ مدار الخير هو التوحيد والطاعة، ومدار الشر هو الشرك والعمل بالمعاصي**، فاعلم هذا علمًا يقينًا.

ثم أُمِر بالاستغفار وهذا دليل على أن الاستقامة هي عبارة عن أمرين:

- التوحيد.
- الطاعة.

والانحراف عبارة عن أمرين:

- الشرك.
- المعاصي.

ولهذا في العادة نقول: تعلَّم التوحيد ثم تعلَّم الكبائر؛ لأن هذان أمران إذا صَلَحا عندك -التوحيد والطاعة- صَلَحْت.

---

(١) سورة محمد: ١٧.

(٢) سورة محمد: ١٨.

(٣) سورة محمد: ١٩.

المقصد الآن: أنك ستجد في هذا السياق مِنْ الشروط أمرًا عجيبًا، بمعنى أننا لن نجد فقط شرط العلم –العلم واضح– لكن أيضًا سنجد: شرط القبول والانقياد، وسنستفيد من هذه الآية مرة أخرى عندما نأتي لشرط القبول والانقياد ونرى كيف يمكن أن يكون الإنسان ببدنه في الدروس وفي العلم وفي الحج وفي الصلاة، ويكون كمن قيل عنهم: {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} لكن ببدنه، ليس استماع قبول وانقياد.

على كل حال علمنا الآن: أنَّ العلم بـ (لا إله إلا الله) فرض عين على كل إنسان، وهذا العلم معناه أنْ تستدل بما له –سبحانه وتعالى– من كمال الربوبية على استحقاقه لكمال الألوهية.

ملخص هذا الشرط، ماذا يجب عليك أن تفعل؟

استدل بما ستتعلّمه عن الله من كمال ربوبيته –سبحانه وتعالى– وكمال أسمائه وصفاته على استحقاقه –سبحانه وتعالى– أن يفرد وحده بالتعلق والتعظيم، **فلو أردت أن تأتي بهذا الشرط فما العمل؟**

- اعتنِ بأمرين:

الأمر الأول: تَدَبَّر القرآن، واعتنِ بما يرد عليك من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

ولقد أُعِنْتَ على ذلك، وأُرْشِدْتَ إليه فقيل لك: أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي لماذا؟ لما تحمله من عظيم أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وبها تنكشف الغمة ويزول كل ضيق في القلب بالتعلق بغيره فلو تأملتها حق التأمل لعلمت كيف أُنعم عليك بأنْ أُرشدت إليها وأُمرت أنْ تقرأها في كل حين كل هذا من أجل أنْ تُرشد إلى العلم عنه، وأيضًا أُعنت على ذلك وأُرشدت إليه بأن قيل لك: سورة الإخلاص ثلث القرآن؛ لِمَا ترى فيها من صفة الرحمن، فهذا كله أمر عجيب!

عُلِّمت (لا إله إلا الله) وأُمرت أنْ تقولها ثم عَلَّمك في يومك وليلتك ما يزيد علمك عنه علَّك ترجو بثبات (لا إله إلا الله) في قلبك –نسأله –سبحانه وتعالى– من فضله أنْ يحيينا على هذه الكلمة ويُميتنا عليها– اللهم آمين.

الأمر الثاني: تَدبَّر تدبيره –سبحانه وتعالى– فيك.

وهذا الأمر وهو تدبُّر التدبير سيكون أصلًا مبني على العلم عنه –سبحانه وتعالى– وسيكون هو السبب في تحويل هذا العلم إلى يقين، فبذلك تُحقِّق الشرط الثاني تدبُّر تدبيره –سبحانه وتعالى– فيك وفي المخلوقات، لكن "فيك" لأن معك مجهر على نفسك وعلى أحوالك فتدبَّر تدبيره فيك وهذا التدبر سيكون أصلا مبني على العلم عنه –سبحانه

وتعالى- وسيكون هو السبب في تحويل هذا العلم إلى يقين وبذلك تكون حقَّقْت الشرط الثاني؛ فلا تكن ممن يسمع العلم ويكنزه ولا يجد في قلبه يقينًا به.

وبهذا الكلام نكون قد انتهينا من الكلام حول الشرط الأول.

الشرط الثاني: اليقين

الآن ننتقل إلى **الشرط الثاني من شروط لا إله إلا الله: وهو اليقين.**

ومعنى الشرط: أنْ يَنْطق بالشهادة عن يقين، يطمئن إليه قلبه ويجد في نفسه الثقة فيما تعلّم عن (لا إله إلا الله).

- **نرى علاقة العلم باليقين:**

العلم أساس اليقين؛ ولذلك عندما نرى آية سورة الجاثية ماذا يقول المشركون؟

{إِنْ نَّظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِيْنَ} ما معنى كلامهم؟ ما اعتقادهم في اليوم الآخر؟ هم علموا عنه لكن ما موقفهم منه؟ هل هم مستيقنين به؟ لا، يظنون ظنًا، معنى ذلك إذا قيل لهم {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا} ماذا قالوا؟ {مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِيْنَ}[1] بمعنى أنَّ هذا وصف حالهم في الدنيا من جهة ما أتاهم من خبر عن الآخرة، وصفهم أنهم ليسوا بمستيقنين إنما هي مجرد أخبار سمعوها فما وقع في قلوبهم اليقين وهذا نفس حال المنافقين في سورة محمد عندما خرجوا من عند النبي -صلى الله عليه وسلم- حين سألوا سؤال المستهزئ: {مَاذَا قَالَ ءَآنِفًا}؟ دليل على أنهم لم يقع في قلوبهم اليقين، إذًا وقع في قلوبهم الشك؛ ولذلك "اليقين" ضده ونقيده: "الشك والريب" ففي سورة إبراهيم قال تعالى: {أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[2] معنى ذلك أن القوم عندما يَصِل العلم إلى عقولهم ويكون في قلوبهم ضعف في اليقين أو شك لا تجدهم ينتفعون بالعلم كما ينبغي، فقالت الأقوام للرسل كما في سورة إبراهيم: {إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيْبٍ}[3]

أي: في شك مما علّمتهم الرسل وأخبرتهم به، فماذا كان ردّ الرسل؟ {أَفِي اللهِ شَكٌّ} بمعنى أنه أظهر الأشياء وأجلاها، فكيف تشكُّون في الله وفي كمال صفاته وهو فاطر السماوات والأرض الذي يحتاج إليه كل شيء؟!

لكن عندما لم يكن لديهم ثقة بشيء من المعلومات التي أعطتهم إياها الرسل، حتى الأمور المحسوسة وقع في قلوبهم شك تجاهها! **لذلك لابد أن تعلم أن العلم منفردًا عن اليقين لا ينفع صاحبه، لا ينفع الإنسان إلا علم معه يقين**، فبالعلم الذي معه يقين يجد الإنسان أثرًا في الأعمال وانظر إلى من تخلّف عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في تبوك كما في سورة التوبة، ما الذي ثقّلهم عن الخروج وأورثهم الكذب؟ هؤلاء عندما أتوا واستأذنوا الرسول -صلى

(١) سورة الجاثية: ٣٢.
(٢) سورة إبراهيم: ١٠.
(٣) سورة إبراهيم: ٩.

الله عليه وسلم- وأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، قال الله -عز وجل- له: {عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَا أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الكَاذِبِيْنَ}(١) ثم أخبر عن حالهم وعن كذبهم.

الذي يستأذن الآن منافق؛ كان الاستئذان في عدم الخروج إلى غزوة تبوك إشارة إلى النفاق قال تعالى: {لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيْمٌ بِالْمُتَّقِيْنَ}(٢)

{إِنَّمَا}: حصرًا على هؤلاء {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}(٣) إذًا هم في ريبهم يترددون ليس لهم إيمان تام ولا يقين صادق، **ماذا كانت النتيجة؟**

قَلَّت رغبتهم في الخير، فاليقين هو الذي سيأتي بالقبول والانقياد، مجرد العلم لا يأتي بالقبول والانقياد؛ ولذلك سنجد أنَّ الشرطين اللذين سَيَتْلُوان اليقين هما:

- القبول.
- الانقياد.

فلو فُقِد اليقين فُقِد العمل!! فانظر إلى أوائل وصف المؤمنين: {آلم (١) ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى} لمن؟ {لِلْمُتَّقِيْنَ}(٤).

أول وصف لهم: {الَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيْمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ (٣) وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}(٥) إذًا وجود اليقين في القلب، هو الذي يأتي بالعمل، أي أنك أتاك الخبر عن اليوم الآخر، أتاك الخبر عن استحقاقه -سبحانه وتعالى- للألوهية وأنه سيحاسبك في اليوم الآخر، فكل ما يتصل باليوم الآخر يتصل بصفاته -سبحانه وتعالى- بمعنى أنَّ إيمانك أنه -سبحانه وتعالى- سيحول هذه الأرض الممهدة التي تعيش عليها إلى ما وُصف لك، وسيخرج الناس كلهم من قبورهم وسيجمعهم الله، وسيحاسبهم فردًا فردًا، وسيحاسبهم على قليل الأعمال وكثيرها، كل هذا من إيمانك بكمال صفاته، بقدرته، بعزّته، بملكه، بسلطانه، بعلوّه. فلو لم يكن هذا اليقين موجودًا في القلب لن تجد له أثرًا في العمل ستجد هذا الشخص ضعيف من جهة أعماله لأنه

(١) سورة التوبة: ٤٣.
(٢) سورة التوبة: ٤٤.
(٣) سورة التوبة: ٤٥.
(٤) سورة البقرة: ١٢.
(٥) سورة البقرة: ٣-٤.

غاب عنه يقينه أن الله –عز وجل– معه يعلم أحواله ولذلك الله –عز وجل– يعلّمنا عن نفسه: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ}(١) فلو كنت متيقنا أن الله –عز وجل– يعلم ما في نفسك لكنت عاملته كما ينبغي أن تكون المعاملة.

لكن الله –عز وجل– يقول: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} قال: {وَاعْلَمُوا} ولم يقل "تيقنوا"!!

نقول: هذا العلم حتى تصل إلى حد {فاحْذَرُوه} لابد أن يتحول إلى يقين. وأنت الآن تشهد على نفسك، عندما يضعف يقينك وتتذكر أن الله يعلم ما في نفسك ما تجد في نفسك أثر {فاحْذَرُوه} فالمعلومة نفسها موجودة وهي أن الله يعلم ما في نفسك عندما تزداد يقينًا –وسنعلم كيف يزداد الإنسان يقينًا– تتحول معلومة {أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ} إلى قوة {فاحْذَرُوه} فيقع في قلبك الحذر من أن تخالف أمره بفعل قلبك قبل فعل جوارحك.

فالمقصد الآن: لابد أن تتحسّس قلبك بعد أن تعلمت عن الله وعن أسمائه وعن صفاته، وتعلمت عن كماله ونقص كل أحد غيره –سبحانه وتعالى– وبعد هذا ماذا وجدت في قلبك؟ هل وجدت لهذا العلم أثرًا في سلوكك فراقبت الله وتعلقت به وعظمته والتجأت إليه أم وجدت أن هذا لا علاقة له بحياتك؟ ما الذي يحدد هذا وهذا؟ درجة اليقين الموجود في قلبك، وأنت تسمع مثلًا: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ}(٢) لكن هل بلغ في قلبك درجة اليقين؟ لو بلغ درجة اليقين سيكون قلبك ممتلئًا بأنه لا كاشف للضر إلا الله، ومن ثمَّ تتعلق به وتترك التعلق بغيره، **فمن هنا نعلم أن العلم وحده لا يكفي لابد أن يتحول هذا العلم إلى يقين،** وهذا الفرق بين الجماعتين اللّتين حضرتا مجلس النبي –صلى الله عليه وسلم– كما وصف في سورة محمد، ما الفرق؟

جماعة حضرت فاقدة لليقين، وجماعة حضرت متيقّنة، ثم خرجوا كلهم من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم.

- فقال فاقدوا اليقين: {مَاذَا قَالَ ءَانِفًا}؟ وسألوا الذين أُوتوا العلم لأنهم يعلمون أن هؤلاء يفهمون وإن كان سؤالهم سؤال استهزاء لكن يحمل في طيّاته أنهم يعلمون أن هؤلاء يفهمون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

فلذلك العلم أول درجات السُّلَّم لكن يحتاج هذا العلم أن يأتي معه اليقين لكن من أين يأتي اليقين؟!

كما ذكرنا في العلم، أن من رحمته –سبحانه وتعالى– أن علمك، حين تُقبل عليه يعلمك، فالآن انظر من رحمته –سبحانه وتعالى– أنه هو الذي يزيدك يقينًا وأنا أذكركم بالحديث " بَيْنَما رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في المَسْجِدِ

(١) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٧.

فأقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فأقْبَلَ اثْنَانِ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وذَهَبَ واحِدٌ، فأمَّا أحَدُهُمَا، فَرَأَى فُرْجَةً في الحَلْقَةِ، فَجَلَسَ وأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أمَّا أحَدُهُمْ: فأوَى إلى اللَّهِ، فَآوَاهُ اللَّهُ، وأَمَّا الآخَرُ: فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ منه، وأَمَّا الآخَرُ: فأعْرَضَ فأعْرَضَ اللَّهُ عنْه.))[1] فالآن الله هو الذي يعلمك إذا أقبلت عليه؛ ولذلك قال لك: اقرأ آية الكرسي اقرأ آية الإخلاص كررها، فهو الذي علمك في الأصل ثم إذا أنت كنت واعيًا نفعك الله.

انتقل إلى اليقين بنفس الطريقة، يعلمك الله عنه، وعن أسمائه وصفاته ثم بعد أن يعلمك يُجري عليك من الأقدار ما يجعل هذا العلم يتحول إلى يقين، فإذا علمك عن نفسه أنه (لطيف) يُجري عليك من الأحداث والأقدار ما يُشهدك على لطفه –سبحانه وتعالى– فهذا من تمام فضله عليك ومن تمام إحسانه على عبيده **ولا يرى هذا إلا من أُوتي البصيرة** فيرى أن الله يعلمه ثم يُجري عليه الأحداث فإذا كان في قلبه صدق إرادة إقبال على الله لابد أن ينفعه العلم الذي تعلمه فيتحول العلم إلى يقين.

فإذا آمنت باسمه (الرزاق) إذا أتاك خبر أنه الرزاق يرزقك ما يشاء متى شاء وأنت طوال الوقت تحتاج لرزقه، ثم يأتيك ذاك الضيق الذي تحتاج فيه إلى رزقه –سبحانه وتعالى– وأنت وقتك كله تحتاج إلى أرزاقه فيريك الله أنه وحده الرزاق ويغلق عليك أبواب كل أحد غيره لتتيقن أنه لا يملك الرزق إلا الله، ولا يكشف الضر إلا الله، ولا يعطي المحتاج إلا الله. إذًا يُجري عليك أحداث تزيدك يقينًا أنه هو وحده الذي ينفعك وهو وحده الذي يدفع عنك الضر وهو وحده الذي يلطف بك وهو وحده الذي يحسن إليك، فيقطع عنك موارد غيره وتبقى موارده هو وحده فهذا وغيره مما عشته وأنعم الله به عليك يجعلك تتجنب حال الإنسان الذي وصفه الله في سورة يونس عندما قال: {وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا قَائِمًا فَحين كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِيْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[2] معنى هذا أن العبد مِنْ ضَعف يقينه عندما يُربيه الله ويعلمه لا ينتفع بما علّمه –سبحانه وتعالى– بل {مَرَّ كَأَنْ لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ} اغتر بالعافية، ونسي كيف أن ربه أعطاه وأعانه، كان المفترض أن يزيد هذا الموقف العبد يقينًا بأنه لا ينفع إلا الله فهذا غرته العافية؛ ولذلك قال ابن مسعود فيما علقه البخاري: (الصبر شطر الإيمان واليقين الإيمان كله) لماذا اليقين الإيمان كله؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤).

(٢) سورة يونس: ١٢.

لأن العبادة لا تكون إلا عن يقين، والصبر ما هو إلا ثمرة مِنْ ثمرات اليقين، لكنها مِنْ أعظم ثمراته؛ ولذلك كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ((أفضَلُ الأعمالِ عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ: إيمانٌ لا شَكَّ فيه، وغَزوةٌ ليس فيها غُلولٌ، وحَجَّةٌ مَبرورةٌ.))[1] وهذا الشرط -الذي هو اليقين- دليلنا الواضح على شرطيته:

ما حدث في قصة غزوة تبوك عندما اشتد الأمر على الصحابة -رضي الله عنهم- فأرادوا أن يذبحوا جمالهم ليأكلوا منها، فقال عمر رضي الله عنه: "يا رسول الله: لو جمعت الطعام الذي عند المسلمين ثم دعوت الله تبارك وتعالى فيبارك الله تعالى فيه، ففعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمشورته، فبارك الله لهم في طعامهم وتزودوا جميعًا"

انظري أولًا إلى حال عمر -رضي الله عنه- ومقدار اليقين الذي عنده أنه على يقين أنه لو دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- سيُبارك في الطعام وسيكفي هؤلاء كلهم، إنما الطعام الذي لديهم بمثابة الأسباب والدعاء هو السبب الأعلى فبعدما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وبارك الله -عز وجل- لهم في طعامهم وتزودوا جميعًا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأني رسولُ اللهِ لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيُحجبَ عن الجنَّةِ.))[2]

وهذا الشاهد الواضح على شرطية اليقين في (لا إله إلا الله).

ولذلك كما ورد في قصة وفاة معاذ بسند صحيح أنَّ جابرًا ممن حضر وفاة معاذ -رضي الله عنه- فقال لهم: ارفعوا لي طرف القُبَّة من أجل أنْ يخاطب الناس ثم قال هذا الحديث: سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((اذهب فنادِ في النَّاسِ أنَّ من شَهدَ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ موقنًا أو مخلصًا فلَه الجنَّة))[3] وفي رواية أخرى: ((مَن شَهِد أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ صادِقًا مِن قَلبِه حَرَّمه الله على النَّارِ))[4] هذه كلها أدلة تدل على شرطية اليقين بـ (لا إله إلا الله).

وفي الآيات التي مرت معنا تبين لنا أنَّ حال أهل الباطل: الشك في (لا إله إلا الله)؛ ولذلك في سورة إبراهيم الرسل قالت لأقوامهم: {أَفِي اللهِ شَكٌّ}.

إذًا ماذا يفعل هذا اليقين؟

يمحو كل شبهة، وأيضا يمحو كل شهوة؛ ولذلك عندما تتيقن أنَّ الصحيح هو عبادة الله وحده لا شريك له، الصحيح هو التعلق به وحده لا شريك له، لا يمكن عقلًا أنْ يُرسل الله الرسل ويكرر في كتابه أنه لا أحد ينفعكم إلا

(١) أخرجه أحمد (١٠٧٥٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧).
(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦) بمعناه.
(٤) صححه الألباني (٤٤).

الله، لا أحد يدفع عنكم الضر إلا الله، لا أحد سيحاسبكم إلا الله، لم يخلق السماوات والأرض إلا الله، لا يدبر إلا الله ثم يُسمح لنا بالتعلق بغيره! لا يمكن؛ ولذلك الآن لا يغُرَّك جماعة الروافض وما يلحقهم لا يغروك ولا يمر في خاطرك للحظة أنهم يمكن أنْ يكونوا على صواب بما يُرَوِّجُونَه بالكلام عن آل البيت لا يغرك هذا الأمر. فإذا كان لآل البيت حق نحن نعترف به لكننا نعلم يقينًا أنَّ لحقِّهم حد لا يمكن أنْ يتجاوز فيصل إلى درجة أنْ يُشاركوا الله في شيء أو يكون مطلوب منَّا التعلق بهم أو سؤالهم أو رجاؤهم مِنْ دون الله، إنما الترضي عن الصالحين منهم والتعامل معهم إنْ كانوا أحياءً كما يحب الله مِنْ الولاء لهم، وحُبُّهم خاصة وهذا أمر جِبِلّي. فإذا كنت تحب النبي -صلى الله عليه وسلم- ورأيت أحدًا مِنْ آل بيته مستقيمًا فيقع في قلبك حب له مرتين:

- حب لأنه مستقيم.
- وحب لأنه مِنْ آل البيت.

هذا أمر جبلّي لو قوي في قلبك التوحيد لله لكن لا يمكن أنْ يمر في خاطرك ولا للحظة مهما أتوا بباطل مهما قالوا لك: يوجد حديث ضعيف في صحيح البخاري، أو قالوا لك يوجد حديث صحيح في مسلم هذا حديثهم الآن: (يا أَيُّها الناسُ! إني تَرَكْتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تَضِلُّوا: كتابَ اللهِ، وعِتْرَتِي، أهلُ بيتي)[1] يقولون هذا الحديث في صحيح مسلم. على كل حال هذه المسألة أنا لا أريد أنْ أُفصِّلها.

المقصد الآن: إذا أتوك بهذه الشبهات فلا تجعل دينك عُرضةً لأحد مِنْ الناس؛ ولذلك أنشد مُصعب ابن عبدالله ابن الزبير بنفسه أبياتًا تبين هذا الأمر قال:

أَأَقْعُدُ بَعْدَمَا رَجَفَتْ عِظَامِي وَكَانَ المَوْتُ أَقْرَبَ مَا يَلِيْنِي

أُجَادِلُ كُلَّ مُعْتَرِضٍ خَصِيْمٍ وَأَجْعَلُ دِيْنَهُ غَرَضًا لِدِينِي

فَأَتْرُكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْيِ غَيْرِيْ وَلَيسَ الرَّأْيُ كَالعِلْمِ اليَقِينِي

وَمَا أَنَا وَالخُصُومَةُ وَهِيَ شَيْءٌ يُصْرَفُ فِي الشِّمَالِ وَفِي اليَمِينِي

وَكَانَ الحَقُّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ أَغَرَّ كَغُرَّةِ الفَلَقِ المُبِينِي

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٧٨)، ضعّفه شعيب الأرناؤوط.

وَمَا عِوَضٌ لَنَا مِنْهَاجُ جَهْمٍ بِمِنْهَاجِ اِبْنُ آمِنَةُ الأَمِيْنِي

فَأمّا مَا عَلِمْتُ فَقَدْ كَفانِي وَأَمَّا مَا جَهِلْتُ فَجَنِّبُونِي

وهذا كلام جميل يبين أنك أنت ما تجعل دينك عرضة لأحد:

أُجَادِلُ كُلَّ مُعْتَرِضٍ خَصِيْم وَأَجْعَلُ دِيْنَهُ غَرَضًا لِدِينِي

فَأَترُكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْيِ غَيْرِيْ وَلَيسَ الرَأْيُ كَالعِلْمِ اليَقِينِي

هذا كله يجعلك في حماية من الدخول في مناقشات لا قيمة لها.

التوحيد...التوحيد! كُنْ متيقنًا أنه لا يمكن أن يأتيك أمر في الشريعة يجعل غير الله في قلبك مُعظَّمًا كالله أو يطلب منك أنْ تفعل لغير الله ما تفعله لله! لا يمكن.

ولذلك لما كانت مسألة الولاء والبراء غير منضبطة في عقولنا تجاوزنا الحد بالأشخاص! ولا تنسى أنَّ الطاغوت قريب! وقريب بمعنى أنَّ مَنْ تُحب، مَنْ تحترم، مَنْ توقِّر، يمكن أنْ يُصبح في لحظة طاغوتًا في تعظيمه، ومَنْ ترى أنه ينفعك في الأسباب في الدنيا ممكن أنْ يكون طاغوتًا في دينك، فاحذر وكن على بصيرة مِنْ أمرك وانظر إلى إبراهيم – عليه السلام– وعلاقته باليقين وكيف أنه لما حاجَّ قومه كان هذا مِنْ باب التنزُّل مع الخصم وإلا فهو ممتلئ يقينًا، في قصته في الأنعام لم يكن ذلك أبدًا لأنه لم يكن متيقنًا، بل كان هذا مِنْ باب التنزُّل مع الخصم فتنزَّل معهم تنزُّلًا مِنْ أجل أنْ يتصوروا حقيقة الأمر فكيف تنزَّل معهم؟

أول الأمر الله –عز وجل– قال: {وَكَذَلِكَ نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} لماذا؟{وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}[1] أي: أنه ظهرت له مِنْ أدلة الذي يحصل له به إيقان، والعلم التام بجميع المطالب، فبعد العلم يأتي اليقين، يعني يعلّمك عن كمال صفاته ويريك –كما اتفقنا في العلم– يريك وأنت ترى في ملكوت السماوات والأرض أدلة في الآفاق وفي النفس ما يزيدك يقينًا.

إذًا لابد أنْ تفهم أنْ اليقين مركب على العلم، ثم بدأ يعامل قومه معاملة المتنزِّل معهم الذي يريد أنْ يبطل لهم عبادتهم، فكيف أبطلها؟

(١) سورة الأنعام: ٧٥.

{فَلما جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي} فهذا على وجه التّنزل مع الخصم {قَالَ هَذَا رَبِّي} الآن هَلُمَّ ننظر هل يستحق الربوبية أو لا يستحق.

ماذا حصل له؟ {فَلما أَفَلَ} أي: غاب، قال: {لا أُحِبُّ الأَفِلِيْنَ}(١) يعني أنَّ الإله لا يمكن أنْ يغيب عن معبوداته فلابد أنْ يكون معهم ينفعهم ويكشف عنهم الضر لا يغيب ويأتي بدلًا عنه فهو بدأ بالأبعد إلى الأقرب.

{فَلما رَأَى القَمَرَ بَازِغًا} والقمر نوره أكثر مِنْ نور الكوكب، قال لهم: {هَذَا رَبِّي}(٢) أيضًا تنزُّلا.

لمّا أفل انتقل مِنْ المجادلة إلى الافتقار، فأظهر لهم أنهم مفتقر غاية الافتقار، وأنه لا بد أن يهديه ربه الذي خلقه فلا هادي له غيره، فانتقل معهم إلى الأوضح: {فَلما رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ} أي: أكبر مِنْ الكوكب وأكبر مِنْ القمر، {فَلما أَفَلَتْ}(٣) أي: غابت، وليس مِنْ وصف الإله أنه يغيب ويأتي عنه بديل! لابد أنْ يتقرر هنا بطلانها، أظهر توحيده وبراءته منهم إلى آخر السياق إلى أن يحاجوه ويحاجوه يعني يخوّفونه ولذلك قال لهم {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا}(٤).

فبين بعد ذلك مَنْ هو الآمِنْ: {الَّذِيْنَ ءَآمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}(٥) ثم أراه الله -عز وجل- في ملكوت السماوات والأرض وأظهر له ليزداد إيمانًا ويزداد يقينًا، وهو -صلى الله عليه وسلم- بعد أنْ أيقن واستيقن به ورأى هذا الملكوت وتأمل وانتفع به جزم جزمًا قاطعًا أنَّ قومه على ضلالة فبدأ يُجادلهم.

فانظر علم يتحول إلى يقين، ثم بعد ذلك مِنْ شدة اليقين تستطيع أنْ ترد ما تردّ مِنْ شُبه، هذا اليقين الذي بلغه إبراهيم -عليه السلام- تَبَين في موطن آخر عظيم كما في سورة الصافات عندما أمره الله أن يذبح ابنه في رؤيا، فمن يقينه في الله وفيما عند الله امتثل وجعل ابنه أيضًا يمتثل قال له الابن: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}(٦) فاليقين حصل عند الأب وحصل عند الابن؛ لذلك ترى هذه الدرجة العظيمة مِنْ اليقين عند الأنبياء، فاليقين نعمة ورزق مِنْ الله يعطيه الله -عز وجل- لذوي البصيرة الذين يعتنون:

- بملاحظة ما تعلمونه عن الله.

---

(١) سورة الأنعام: ٧٦.
(٢) سورة الأنعام: ٧٧.
(٣) سورة الأنعام: ٧٨.
(٤) سورة الأنعام: ٨١.
(٥) سورة الأنعام: ٨٢.
(٦) سورة الصافات: ١٠٢.

- ويربطونه بأحوالهم فيُنعم عليهم بأن يزدادوا ثقةً بما أخبر الله به عن نفسه.

نكتفي بهذا الكلام في هذا الشرط ونعيد مرارًا وتكرارًا: **إنَّ المتيقنين لا يرتابون أبدًا في استحقاق الله للتعظيم وحده لا شريك له وفي استحقاقه للتعلق وحده لا شريك له**، فنسألك يا ربنا أنْ تمنَّ علينا باليقين الذي يزيدنا قبولًا وانقيادًا لما أمرتنا به.

الشرط الثالث: القبول

نبدأ الآن في الكلام حول الشرط الثالث وهو **شرط القبول** وهذا الشرط معلوم أنه مبني على العلم؛ بمعنى أنك تتعلم عن (لا إله إلا الله) ولوازمها فإذا وقع في قلبك يقين بها وجب عليك أن تتحول من هذا اليقين إلى قبول كل ما تقتضيه هذه الكلمة من: نفيٍ، وإثباتٍ، وولاءٍ، وبراءٍ.

ويكون قلبك مستيقنًا بكل هذه المستلزمات، فصدَّقت هذا العلم الذي أتاك تصديقًا لا يتزعزع ولا يضطرب ولا تؤثِّر فيه الهواجس؛ ولذلك إذا نظرت إلى كفار قريش سترى أن الكبر الذي وقع في قلوبهم منعهم من قبول (لا إله إلا الله) بالرغم أنهم من الممكن أن يكون كثير منهم بلغ حالًا من اليقين بها لكنه لم يقبلها!

فالمطلوب منك الآن:

أن تقبل (لا إله إلا الله) بقلبك وبلسانك، فتصدق الأخبار ومن المؤكد أنه سيلحق هذا منك طاعة للأوامر

- فلا ترد شيئًا من كتاب الله.
- ولا من الخبر عن الله.
- ولا من حق الله.

تقبل كل الشريعة لا تختار منها ولا تعاملها معاملة المنتفع ببعضها، بل احذر من أن تكون مثل اليهود والنصارى وكفار قريش فإن هناك من يعلم معنى الشهادة علم اليقين لكنه يردُّها بسبب كِبر وقع في قلبه وحسد والله -عز وجل- لما وصف اليهود والنصارى (أهل الكتاب) قال: {الذين ءَاتَيناهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم}(١).

لكن ما مشكلتهم؟ كتمان الحق كبرًا أو حسدًا ولذلك وصفهم أيضًا بقوله تعالى: {حَسَدًا مِن عِندِ أَنفُسِهِم مِن بَعدِ مَا تَبَيَنَ لَهُمُ الحَقُّ}(٢) وكذلك المشركين يعرفون معنى (لا إله إلا الله) وصدق النبي -صلى الله عليه وسلم- ولكنهم يستكبرون عن قبول الحق، قال تعالى: {إِنَّهُم كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُم لا إله إلا الله يَستَكبِرُونَ}(٣) وهذا أيضًا حال فرعون {وَجَحَدُوا بِهَا وَاستَيقَنَتهَا أَنفُسُهُم ظُلمًا وعُلُوًّا}(٤).

إذًا كل ذلك يدلك على أن القلب عندما يمرض بمرض الكِبر والحسد قد يأتي إلى ما سَلَّم بصدقه وتيقن أنه خبر صحيح فيرده ولا يقبله! **ما الذي حكم العبد فأوصله إلى هذه الحال؟**

---

(١) سورة البقرة: ١٤٦.

(٢) سورة البقرة: ١٠٩.

(٣) سورة الصافات: ٣٥.

(٤) سورة النمل: ١٤.

إنه الهوى، أمراض القلوب؛ ولذلك كان الذين آمنوا يرددون دائمًا: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَبِهِ وَالمؤمِنُونَ كُلاٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَنُ فَرِق بَينَا أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وأَطَعنَا}.

- {سَمِعنَا} أي: تعلّمنا.
- {وأَطَعنَا} أي: قبلنا.

ثم يسألون الله عز وجل: {غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المصِيرُ}[1] ولذلك خُوطِب الذين آمنوا فقال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخُلُوا فِي السِّلمِ كَآفَّةً}[2] أي: ادخلوا في كل الإسلام، اقبلوه، لا تردوا منه شيئًا {وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلا مؤمنةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِن أَمرِهِم}[3] فادخل في هذا الأمر دخول المتيقِّن، طيب القلب، سليم في قلبه، بعيد عن العناد والكِبر وهوى النفس؛ لأن العناد صفة الكافرين، يقولون لبعضهم: {وَانطَلَقَ المَلأُ مِنهُم أَنِ امشُوا وَاصبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُم} أي: تمسّكوا بباب العناد {إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ يُرَادُ}[4] بعدما قالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا}[5] بمعنى أنهم لم يقبلوا التوحيد فتواصى بعضهم ببعض بالعناد.

فالمقصد: أن تعلم أن هذا الدين حقٌ علمًا يقينيًا ثمّ تقبل كل ما يلزم الدّاخل لهذا الدين، ورأس الدين هو:

لا إله إلا الله.

المطلوب منك: أن تقبل أن لا تعظم أحدًا غير الله ولا تتعلّق بأحد غير الله، وتلقي وراءك كل موروثاتك فليس عظيم في قلبك تطلب رضاه إلا الله، وليس متعلق في قلبك تتعلق به وترجو رضاه إلا الله.

فعلى هذا:

- سيكون قلبك ممتلئًا رضى عن الله.
- وسيكون مجاهدًا للهوى.

فإن ردّ لوازم (لا إله إلا الله) والغالب أن الناس لا يردّون (لا إله إلا الله) إنما يردون لوازمها فينطقون بِـ(لا إله إلا الله) لكن إذا قلت له: (لا إله إلا الله) تعني أن تكفر بهذه القبور كلها (لا إله إلا الله) تعني أن تكفر بالأسباب

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.
(٢) سورة البقرة: ٢٠٨.
(٣) سورة الأحزاب: ٣٦.
(٤) سورة ص: ٦.
(٥) سورة ص: ٥.

وتأخذها وأنت كافرًا بها، معتقدًا بربها وبأن الله –عز وجل– هو الذي يجعل الأسباب قادرة على التسبُّب فأنت تجد أن كثيرًا من الناس يقولون لك: نحن نؤمن أن (لا إله إلا الله) ونتيقن بها لكن يجادلون في تفاصيل قبول الشريعة يعني قبول لوازم (لا إله إلا الله) وأنا لا أكلمكِ الآن عن أعمال الجوارح بقدر ما أكلمكِ عن أعمال القلوب.

- فلما نقول لهم: (لا تتعلقوا بغير الله، لا تعظموا غير الله من ولد أو زوجٍ أو بيتٍ أو درهمٍ، أو لا تتعلقوا بالدنيا وتصبح هي مصدر رضاكم أو سخطكم).

الجواب: طبيعي أن نحب الدنيا!

- لا تتعلقوا بآبائكم وأبنائكم وأموالكم.

الجواب: طبيعي أن نتعلق بها!

وهكذا! تجد أنهم لا يقبلون لوازم إفراد الله في القلب، لا يتحملون الكفر بالطاغوت بسبب أنهم لا يشعرون بكونه طاغوتًا، وعدم شعورهم بكونه طاغوتًا لأن قلوبهم لم تمتلئ بحق الله فهم يردون لوازم (لا إله إلا الله) غير شاعرين بردّهم لها! وهذا في الحقيقة أمر يحتاج إلى تفصيل وضرب أمثلة لكن دائمًا نحذر من ضرب الأمثلة في الشروط هنا في مسألة القبول خصوصًا، لكن نضربها عندما نشرح الأمور نفسها:

مثلًا: في شرح الكفر بالطاغوت نأتي نقول: كثير من الناس لا يعلمون أصلًا ما هو الطاغوت ولا يشعرون به فكم من المرات طغت هذه الأشياء وبغت في قلوبهم وكبرت وعظمت وأصبحت عظيمة، وحصل أنها أصبحت طاغوتًا وكان الناتج أنهم انحرفوا عن مراد الله في تعلق قلوبهم بالله وتعظيمهم له وهم لا يشعرون بفعلهم.

فالمقصد الآن: أن تتصور أن هذا الشرط –الذي هو القبول– هو أن تقبل كل ما جاءت به كلمة (لا إله إلا الله).

- أنّ لا معبود يستحق التعلق والتعظيم إلا الله.
- تقبل أن تكفر بالطاغوت.
- تقبل أن لا يكون عندك معظَّم إلا الله ولا متعلَّق به إلا الله.

لذلك لما قال كفار قريش: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[1] ماذا كان ردهم؟ {فَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنهُم أَنِ امشُوا} أي: اتركوا {وَاصبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُم إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ}[2] فتجد الإنسان مع الكبر والعناد يرد حق الله وهم

(١) سورة ص: ٥.

(٢) سورة ص:٦.

معترضون على أنه –صلى الله عليه وسلم– أمرهم أن لا يُجعل في قلوبهم معظم ولا متعلق به إلا واحد فاعترضوا على هذه الحال {إنهُم كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُم لا إله إلا الله يَستَكبِرُون}(١).

فعلى ذلك لابد أن تقبل ولا تتكبر على الحق، والحق هذا له:

- إجمال.
- وله تفاصيل.

فكلما زدت فهمًا للتفاصيل كلما امتنعت عن الرد والاستكبار، وذهب عنك هذا البلاء العظيم وهذا المرض الكبير الذي لو كان في قلبك منه مثقال ذرة كان مانعًا لك من الجنة.

فأنت تجد أن المشكلة في أن الطواغيت عُظِّمت في نفوس الناس سواء كان من مال أو أولاد أو كل أنواع الأشياء المعظّمة أو المتعلق بها ابتداءً من الصالحين المقبورين وانتهاءً بِـ (تَعِسَ عبدُ الدينارِ تَعِسَ عبدُ الدِّرْهَمِ)(٢)

من هذا إلى هذا والناس معظّمين له ولا يحتملون أن نقول لهم: (لا إله إلا الله) تمنعك من هؤلاء لا يستطيعون أن يقبلوا هذا، من قوة تعلقهم أو تعظيمهم لهذه الأشياء، فأنت ترى أن هذا الموضوع غاية في الحساسية، مسألة القبول تحتاج منك أن تتحرر من هواك من أجل أن تصل إلى حد قبولك لكلمة (لا إله إلا الله) على كل حياتك ولذلك قال تعالى: {يا أَيها الذِّين امَنُوا اِدخُلوا فِي السلِّمِ كَافَةً وَلا تَتبِعُوا خُطُوَاتِ الشِّيطَان}.

- **يقول الشيخ السعدي:**

"هذا أمرٌ من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا {في السِّلم كافةً} أي: في جميع شرائع الدين ولا يتركوا منها شيئًا – يقبلونها كلها– **وألا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه"**

أي: **ضد القبول أن يتخذ الإنسان إلهه هواه** أي: تأمرك الشريعة بأوامر فتردها ليس لأنك لست متيقنًا أنّ ما أمرت به الشريعة هو الحق، بل لأن في القلب هوى فيرد الهوى الحق؛ لذلك مهم في "شرط القبول" أن تكون متمكنًا

(١) سورة الصافات:٣٥.
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) مطولًا.

من فهم "الهوى"، فلو أردت أن تحقق هذا الشرط تحقيقًا صحيحًا فعليك أن تفهم ما معنى قوله تعالى {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}[1] أي: أنه لا يقبل من الشريعة إلا ما وافق الهوى.

- **يقول الشيخ رحمه الله:**

" وألا يكون ممن اتخذا إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله وإن خالفه تركه بل الواجب أن يكون الهوى تبعًا للدين وأن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير وما يعجز عنه يلتزمه وينويه فيدركه بنيّته.

ولما كان الدخول في السلم كآفة لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان قال: {وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}. ما معنى {وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}؟ أي: في العمل بمعاصي الله {إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ}[2] والعدو المبين لا يأمر إلا بالسوءِ والفحشاء وما به الضرر عليكم".

إذًا الدخول في السلم كافة سيكون ضده:

متابعة الهوى.

ما الذي يأتي بنقيض القبول؟

الرد، والرد لن يكون إلا بمتابعة الهوى إذا كنت عالما متيقنًا لن ترد الشريعة إلا بسبب هواك ولذلك الله –عز وجل– أخبر عن هذه الحال {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}[3]

- **كيف يكون اتخاذ الهوى إلها؟**

قال: (لا إله إلا الله) وعلم معناها وتيقن بمعناها لكنه ما تخلّص من هواه، فجعل هواهُ إلهه وإن تبطّن بـ (لا إله إلا الله) في مقابل أن كفار قريش لما فهِموا هذه المسألة كما في أية (ص) ماذا فعلوا؟ لم يقبلوا ولم ينقادوا؛ لكن سنرى الآن الفرق الواضح بين من قال: (لا إله إلا الله) وعلم وتيقن ثم بدأ يحصل عنده ضعف في قبوله وانقياده وبين من كان سبب رفضه (لا إله إلا الله) عدم قبوله مع علمه ويقينه!

أي: أن هناك أناس يأتون بلفظة (لا إله إلا الله) ويتعلمون ويصِلون إلى درجة اليقين لكن يغلب عليهم هواهم، وهناك أناس يغلب عليهم هواهم لدرجة أنهم لا يقولون: (لا إله إلا الله).

---

(١) سورة الفرقان: ٤٣.

(٢) سورة البقرة: ١٦٨.

(٣) سورة الجاثية: ٢٣.

في الوقت المعاصر انظر مثلًا لليهود والنصارى، من تعلم منهم خصوصًا القوم الذي نسميهم "المستشرقين" الذين منهم من وضع "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث" وأيضًا منهم من وضع "مفاتيح السنة" هؤلاء الآن عرفوا تفاصيل الدين وعرفوا أنه الحق ومع ذلك بسبب عدم قبولهم وردهم للشريعة لاتباعهم هواهم لم يقولوا: (لا إله إلا الله) مع أنهم تعلموا وتيقنوا أن هذا بالتأكيد هو الحق، وأنت تسمع من الكفار كثير من كلمات الثناء على الشريعة وأنها الحق، تسمع ثناء على النبي -صلى الله عليه وسلم- وثناء على الدين الذي جاء به فتتساءل: بما أنك تثني هذا الثناء على هذا الدين ما بك لا تشهد أن (لا إله إلا الله)؟!

الجواب: أنه اتخذ إلهه هواه؛ فردَّ (لا إله إلا الله) ما استطاع أن يقبل ما تُلزمه به هذه الكلمة.

انظر الآن إلى القوم الذين في أصلهم كفار وبقوا على كفرهم، مثلًا "التيجانية" ورؤوسها و"النقشبندية" ورؤوسها هؤلاء حقيقة يتمثلون حديث النبي صلى الله علية وسلم: ((دُعَاةٌ علَى أبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا))[1] ما وصفهم؟ قلوبهم قلوب الذئاب، وهذه الصفة تخفى على الناس، والذي يظهر للناس أن جلودهم جلود الضأن! أي ناعمة جلودهم، يظهرون بصورة الطيبين الذين يريدون لك المصلحة، يريدون لك الخير، لكن قلوبهم قلوب الذئاب هؤلاء دعاة على أبواب جهنم، وهذا أحسن وصف يُوصفون به، ثم يأتي أصحاب هذه الطوائف والفرق يدعون الناس بكلمة (لا إله إلا الله) إلى عبادة غير الله، وحين يُسأل أحدهم: ما الذي دهاك وما الذي جعلك تفعل هذا الفعل؟ تعلم من جوابه **أنه اتخذ إلهه هواه**، فلم يُحسن إلا أن يطلب الدنيا بالدين فلو قبل معاني (لا إله إلا الله) وبدأ يأمر الناس بعبادة الله وحده لا شريك له وانصرف الناس عن القبور وعن الأضرحة وعن الزيارات وعن النذور لانكسرت شوكته وذهب مورده وأصبح فقيرًا بعد أن كان غنيًا! فلما غلب عليه هواه وقطع شريان قلبه عن الحياة رأيت ما رأيت من عبد يقول (لا إله إلا الله) لكن لا يقبل لوازمها!

إذًا القبول: أن تقبل كل الشريعة ولا تتخيّر منها ولا تعاملها معاملة المنتفع ببعضها.

والقبول: عمل القلب.

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٤).

الشرط الرابع: الانقياد

- **الانقياد:** هو الالتزام العملي.

ما معنى الانقياد؟ هو الخضوع والإذعان والاستسلام.

فهذا الشرط يمثل الالتزام العملي للشروط، أي أنّ هذه الكلمة تملي عليك أن تنقاد لكل ما أمرك الله به فهناك تكاليف شرعية إذا علمتها وكنت من أهلها وجب عليك القيام بها؛ أي أنك الآن تحتاج إلى العلم بمعرفة (لا إله إلا الله) ثم قولك: (لا إله إلا الله) لابد أن يكون أثره أن تنقاد لما أمر الله.

الانقياد معناه اللغوي: أن يكون لك قائد ومرشد أمامك وتنقاد وراءه.

الانقياد: هو الاستسلام والإذعان وعدم الانتقاد أبدًا أو التعقيب على كلام الله؛ ولذلك عندما ترى أوصاف القوم ترى أنهم مسلمون، أسلموا وجوههم، أي أنهم انقادوا والانقياد يطابق بالضبط اسم الدين، فاسم الدين "الإسلام": أي أنك تستسلم لله وتعتقد أن أمره لك يلزمك بمتابعته، فالعباد يعلمون أنه (لا إله إلا الله) ويوقنون بها ويقبلونها.

ما معنى قبولهم لها؟ معناه: أنهم يعظمون ما عظَّم الله ويقبلون ما أمر الله فيرون أنه يجب عليهم التزامه.

ثم اعلم أن كل العباد يدّعون أنهم استسلموا لربهم وأنهم يريدون أن يعملوا ما أمرهم به ثم تجدهم عندما يأتي الاختبار مُتفلِّتين مما أمر الله.

فتصوري حال أبي طالب وتصوري هذا الدفاع الذي بذله للنبي صلى الله عليه وسلم:

وَاللهِ لَن يَصِلوا إِلَيكَ بِجَمعِهِم حَتّى أُوَسَّدَ في التُرابِ دَفينا

فَاِصدَع بِأَمرِكَ ما عَلَيكَ غَضاضَةٌ وَابشِر بِذاكَ وَقَرَّ مِنهُ عُيونا

وَدَعَوتَني وَزَعَمتَ أَنَّكَ ناصِحٌ وَلَقَد صَدَقتَ وَكُنتَ ثَمَّ أَمينا

وَعَرَضتَ ديناً قَد عَلِمتُ بِأَنَّهُ مِن خَيرِ أَديانِ البَرِيَّةِ دينا

لَولا المَلامَةُ أَو حِذاري سُبَّةً لَوَجَدتَني سَمحًا بِذاكَ مُبينا

انظري السبب في عدم إسلامه؛ هو علم أن هذا الدين هو دين الحق لكن: " لَولا المَلامَةُ".

أو السبب الثاني: "حِذاري سُبَّةً" "لَوَجَدتَني سَمحًا بِذاكَ مُبينا".

إذا ما الذي ينقصه؟ الانقياد، فلهذه الدرجة وصل موقفه من (لا إله إلا الله) لكن ينقصه الانقياد وكما ذكرت لكم، **المستشرقين أنواع:**

- نوع بلغ في القبول ما بلغ، فقَبِل الشريعة ورآها مناسبة للناس، والاقتصاد الإسلامي مناسب، وأحكام الأسرة مناسبة، وأحكام قضايا الإجرام والاعتداء مناسب، ويتعجبون ويقولون كلامًا جميلًا، لكن ماذا بعد هذا الإعجاب؟! لا يكفي هذا الإعجاب لابد أن ينقاد؛ فلذلك تجد أن عدم الانقياد للأحكام الشرعية إشارة إلى عدم القبول.

إذًا ترك تحكيم الشريعة من أبرز صور عدم الانقياد، فلو سألت:

ما الفرق بين الانقياد والقبول؟

- الظاهر أن القبول: هو عمل القلب.
- والانقياد: هو عمل الجوارح.

إذًا لا بد أن تنظر للشريعة على أنها كاملة هذا قبولك للشريعة، وترى نفسك مستسلمًا لها كلّما خطر في بالك عمل لابد أن تزنه بميزان الشرع؛ ولذلك ترى الذين استسلموا استسلامًا كاملًا مع بساطتهم ومع عدم علمهم الكثير لكنهم يأتون ويسألون أسئلة تبين أنهم لا يريدون أن يتحركوا في حياتهم إلا وهم منقادون للشريعة، وعندما تتمثل المعنى اللغوي سيتبين لك المراد.

المنقاد: هناك هادٍ له أمامه وهو منقاد له يسير وراءه.

فشرط الانقياد لِ (لا إله إلا الله): أن تستسلم تمامًا في رسم حياتك على ما يرضي الله، لا تُرسم حياتك لا تفعل فعلًا إلا على ما يرضي الله سبحانه وتعالى.

يدخل في الانقياد والقبول أمور كثيرة من العبادات القلبية، ومن أهم العبادات القلبية التي تدخل في مسألة القبول: الرضا عن الله، فلو أتيت تشرح القبول قبول الشريعة، قبول (لا إله إلا الله) يدخل في معناها:

- رضاك عن الله ربًّا.
- ورضاك عن الإسلام دينًا.

- ورضاك عن النبي صلى الله علية وسلم نبيًا ورسولًا.

وإذا رضيت بالله ربًا قبلت منه الأحكام القدرية والأحكام الشرعية؛ ولذلك القابل بأُلوهية ربه تراه راضيًا عن أقداره سواء أتت الأقدار على ما يناسبه أو ما لا يناسبه.

وأنت تتعرض في أحيان كثيرة لمواقف ترى نفسك إذا أُعطيت رضيت وإذا لم تُعطَ لم ترض، فإذا أعطاك الله رضيت عنه وإذا حرمك وقع في قلبك سخط على الله! فإذا كان هذا حالك وحالك اليأس من عطائه وقت الحرمان فهذا معناه أن قبولك لألوهيته وأنه المستحق للألوهية وأنه كامل الصفات قبول من يتبع الهوى.

- لذلك سيشمل القبول:
- الحكم الشرعي.
- والحكم القدري.

والانقياد كذلك ستنقاد لأمر يناسبك أو لأمر لا يناسبك في كل الحالات أنت منقاد لربك.

الشرط الخامس: الصدق

نبدأ الآن في الكلام حول الشرط الخامس وهو **شرط الصدق** وهو من أعظم شروط (لا إله إلا الله) وهو من أشد الفوارق بين أهل الإيمان وأهل النفاق وأنا أريد منكم أن تفهموا هذا الأمر جيدًا فالشروط دائمًا تأتي في سياقات وصف الفارق بين أهل الإيمان وأهل النفاق وتأملوا سورة محمد جيدًا ستجدون هذا الأمر، فأنت في أولها تجد:

- {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}(١) هنا ما حصل منهم هو ضد المحبة، إذًا تجد هنا: شرط المحبة.

- {فاعلم أنه لا إله إلا الله}(٢) تجد: شرط العلم.

- ثم تجد في السورة أيضًا كلامهم عن القتال أنهم يتمنونه:{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ}(٣) فهم في أول الأمر مع القوم يظهرون أنهم قابلون منقادون ثم إذا أتى الحق، رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليهم من الموت حتى أن الله قال لهم:{فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}(٤) وهذا الأمر الذي لابد أن يبقى في ذهنك: أن قبولك وانقيادك سيُختبر، عندما يأتي الحق ماذا يحصل منك؟

إلى آخر التأملات في سورة محمد، وهي من أكثر السور التي أظهرت التقابل بين المؤمنين والمنافقين فعليكم بدراستها لإتقان معنى الشروط.

المقصد الآن الكلام حول شرط الصدق، يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}(٥) ومثل هذا الموطن الذي فيه الصدق: {فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}(٦). هذا كله فيه إخبار عن أهل البر أنهم أُثني عليهم بأحسن أعمالهم ومن بين أعمالهم التي يُثنى بها عليهم بعدما ذكر الله أفعالهم: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ

(١) سورة محمد: ٩.
(٢) سورة محمد: ١٩.
(٣) سورة محمد: ٢٠.
(٤) سورة محمد: ٢٠-٢١.
(٥) سورة التوبة: ١١٩.
(٦) سورة محمد: ٢١.

الْبَأْسِ} لما ظهر كل هذا الانقياد قال الله –عز وجل– عنهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[1] ففهمت أن الصدق لابد أن يكون مقترنًا بأعمال ظاهرة وباطنة، فتصور كل هذه الأعمال:

- {آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} هذه كلها أعمال باطنة.
- ثم أعمال الإسلام: {آَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ}.

كل هذا يدلك على أن الصدق كأنك تقول: هو مقام الإسلام والإيمان، يعني هذا دليل على أن هذا المقام الذي هو مقام الصدق من أعظم مقامات الدين والله –عز وجل– قسم الناس إلى قسمين: صادق وكاذب. مثلًا في سورة العنكبوت، قال تعالى: {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}[2] فأنت تفهم أن الحياة كلها أهلها منقسمين إلى قسمين: صادق وكاذب. لا ثالث لهما! فالإيمان أساسه: الصدق، والنفاق أساسه: الكذب، ولا يجتمعان في قلب إلا حارب أحدهما الآخر. وأنت ترى أن الله أمر الرسول أن يسأله أن يجعل مدخله مدخل صدق ومخرجه مخرج صدق: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ}[3] فما معنى أن يكون النبي –صلى الله عليه وسلم– مدخله صدق ومخرجه صدق؟ هذا الذي نريد أن نفهمه، فأنت تسأل الله كما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– ربه تريد أن يكون مدخلك صدق ومخرجك صدق، فماذا تفهم من مدخل الصدق ومخرج الصدق؟ المقصود: أن تجعل مداخلي ومخارجي الحامل عليها: طاعتك ومرضاتك والشوق إلى رضاك. فأرجو من الله أن يكون تقلبي في كل حال دخولي وخروجي وخطايا كلها صدق يعني: (على الحقيقة أريد رضاك).

عندما نقول: "هذا صحبته صادقة" ما معنى صادقة؟ يعني: حقيقية، ليست لمصالح الدنيا، ايتوا بأمثلة على كلمة "صادقة" حين تضعونها في جمل ماذا تقولون؟

- (هذا وعد صادق) أي: حقيقي.
- (فجر صادق) أي: حقيقي.
- (رؤيا صادقة) أي: حقيقية.

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.
(٢) سورة العنكبوت: ٣.
(٣) سورة الإسراء: ٨٠.

(مُعلّم صادق) أي: مُعلّم على الحقيقة.

(هذه محبّة صادقة) أي: حقيقية.

إذًا ما المقصود بصادق؟ يعني: على الحقيقة، فحين تطلب من الله: أن يجعل مدخلك صدق ومخرجك صدق، يعني أن يجعله على حقيقة ما يريد الله، ما ضد "حقيقة ما يريد الله"؟ أن تكذب على نفسك فتخرج لهواك، تخرج لمرادك، ثم ترى نفسك بعد أن خرجت لمرادك تكذب على نفسك وترى نفسك كأنك خرجت لله، كأن مرادك الله وأنت في الحقيقة مرادك: هواك. فالمقصود الآن أن {أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} معناه أن يكون تقلبك في حياتك مقصده: الظفر برضا الله، في مقابل مخرج الكذب ومدخله: أن يكون العبد ليس له غاية في رضى الله، إنما يجري من أجل الدنيا. وعلى ذلك أنت تفهم جيدًا أن الصدق سيظهر في تقلباتك، الله أمر الرسول أن يدعو بأن يجعل الله مدخله صدق ومخرجه صدق، فالصدق يظهر في تقلباتك، في أحوالك، فهل فكرنا يوما: ما الذي أخرجنا من بيوتنا نتعلم؟ ماذا نريد بخروجنا من بيوتنا؟ من أماكننا؟ بتحركنا؟ فقد يكون رضا الله أقرب إلينا من خروجنا، يعني نخرج إلى رضا بعيد والقريب عندنا موجود، وأحسن مثال على ذلك وأبلغه رضا الوالدين، تجد كثيرًا يبيعون رضا والديهم بمخارج ومداخل يوهمون أنفسهم أنها لله! فحرّر قلبك حرّره وهذا لا يعني ترك باب العلم بل هذا معناه أن تجعل أولى الأولويات في علمك: أن ترضيهما فإذا أرضيتهما فتح الله لك باب العلم.

مما يحسن أن تفعله الآن أن تفهم حال المنافقين في سورة المنافقين فأنت تراهم يشهدون للرسول بأنه رسول والله يكذبهم، هذا الكذب الذي يغيب عنا، الكذب الذي نريده هنا معناه: أن الإنسان يظهر من نفسه الخيرية وكما يعبرون "يلمّع نفسه" أمام الناس ثم يبطن في داخله هواه، فلا يتصرف إلا من منبع الهوى لكن يوهم الذي أمامه أنه يريد رضا الله وحين نرى في سورة التوبة سيتبين لنا هذا الأمر: الذين قال الله -عز وجل- فيهم: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي}[1] قال عنهم المفسرون: إن هؤلاء قوم استأذنوا وقالوا: "لو أذن لنا جلسنا ولو لم يؤذن لنا جلسنا" في كل الحالات هم جالسون! اسألهم: لماذا استأذنوا؟ لإظهار أنفسهم أنهم متابعون للشريعة وأنهم مهتمون بها! فإن خُدع النبي -صلى الله عليه وسلم- بهم وأذن لهم وصلوا إلى مرادهم، وإذا لم يأذن لهم تخلفوا ولم يبالوا! فترى عجبًا من إظهارهم تعظيم النبي -صلى الله عليه وسلم- وإظهارهم احترام الدين ثم في داخلهم احتقارًا للدين واحتقارًا لأهله، في الظاهر يأمر بعضهم بعضًا بالمعروف كالمسلمين ثم إذا انضم بعضهم إلى بعض: يأمرون بالمنكر وينهون عن

(١) سورة التوبة: ٤٩.

المعروف! وانظر إلى ذلك الذي قال الله فيه: {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا}[1]ما حاله؟ أتى للنبي -صلى الله عليه وسلم- وقال إنه يريد الخروج لكن يخشى أن تفتنه بنات الأصفر! -أي يخشى لو خرج للجهاد ورأى نساء بني الأصفر، لا يصبر عنهن- هو ماذا يريد؟ يريد أن يبيّن أن مقصده من التخلف عن الجهاد حسن، ويبيّن أن خروجه للجهاد شر، وفي عدم الخروج عافية للدين، في الحقيقة هو يريد الدنيا لكن يصور للذي يكلمه أنه يريد الآخرة ويظهر نفسه أنه خائف على دينه وأنه ما ترك هذا العمل العظيم إلا من أجل أن يحفظ دينه فماذا رد الله عليه؟ قال الله -عز وجل- مبينًا أنه كذَّاب: {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا}[2] أي أنهم كاذبون وأن ما فعلوه الآن من الاعتذار هو الفتنة على الحقيقة، فتنة فتنوا أنفسهم بها، فلا تعجب من حالهم كيف أنهم يظهرون حماسهم للشريعة وأنهم محبون للاستقامة ثم يتخلفون عن الجهاد، ولو كان صادقًا وستفتنه بنات الأصفر، فإن في تخلفه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مفسدة أعظم، ولو تحصن بالله لحصّنه الله. فكثير من الأحيان نترك أمر الله متعذرين بعذر شرعي أمام الناس ونحن في قلوبنا نعلم أن لا عذر لنا لكن كل الذي يهمنا في اللحظة تلك أن يعذرنا الناس! ولذلك يا ويل من اعتنى بالناس هذه العناية، فلقد عظّمهم تعظيمًا يفسد عليه صدقه مع ربه، الناس لهم حد في العناية. الآن الله -عز وجل- اختبرهم: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا} لَمَاذا فعلوا؟ {لَاتَّبَعُوكَ}[3] لكن متى ظهرت عليهم الحقيقة؟ لما بعدت عليهم الشّقة، ويأتون للنبي -صلى الله عليه وسلم- ويحلفون له: {لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ}[4] فالصدق هو أن تعظّم الله تعظيمًا حقيقيًا، عظّم الله تعظيمًا حقيقيًا؛ فيورثك هذا أن لا تعامل إلا الله، ولا يلتفت بصرك إلى العذر من غيره فلا تحمل إلا هم رضاه ولا تتلمس أعذارًا إلا أن تعتذر منه -سبحانه وتعالى- يعني لا تبحث عن أعذار إلا أعذار تعتذر بها منه، وأنت تعلم أنه يعلم ما في نفسك {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ}[5] فإذا علمت هذا أصبح التوفيق في عقلك مبني على قدر معاملتك لله، يعني ماذا تريد من وراء هذا العمل؟ ماذا تريد من وراء هذا المخرج؟ ماذا تريد من وراء هذا المدخل؟ ماذا تريد؟ لذلك الله -عز وجل- قال: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً}[6] لكن في الحقيقة: أن الله كره انبعاثهم {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}[7] فلو أردت فهم المسألة جيدًا انظر مَن تعظّم؟ هل أنت محرر لأسباب خروجك ودخولك؟ هل أنت محرر لحركاتك؟ هل أنت صادق في قول: (لا إله إلا الله)؟ هل أنت حقيقة معظّم لله؟ هل أنت حقيقة متعلق به؟ هل عندما يمر في خاطرك مراد تلجأ إليه

---

(١) سورة التوبة: ٤٩.
(٢) سورة التوبة: ٤٩.
(٣) سورة التوبة: ٤٢.
(٤) سورة التوبة: ٤٢.
(٥) سورة البقرة: ٢٣٥.
(٦) سورة التوبة: ٤٦.
(٧) سورة التوبة: ٤٦.

وتقطع قلبك من غيره؟ لأن هذه أكبر مشكلة عندنا، أنّ المرء عندما يمر على خاطره مرادات تتعلّق بالدنيا، كأن يحب كذا، يريد كذا، يرجو كذا في الدنيا، نقول له: تعلّق بالله ولا تتعلّق بغيره فهل أنت حقيقة صادق داخل نفسك متعلق بالله لست متعلق بغيره؟ ولذلك وأنت في حال تعلقك بالله الحقيقي، لابد أن تُختبر اختبارًا دقيقًا، يأتيك وأنت في حال صدقك ولا تريد أن تستعين أو تتعلّق إلا بالله، فتأتيك بعض الأسباب التي يمكن أن يلتفت قلبك إليها، مثلا تأتيك مكالمة تليفونية، يقال لك: سنعد لك ما تريد. أو يأتيك أحد يقول لك: أنت مُرْ ونحن ننفّذ. هذا الآن اختبار من الله يختبرك هل أنت صادق في تعلقك بالله أم كاذب؟ ألا ترى إبراهيم –عليه السلام– لما ألقي في النار ثم أتاه جبريل قال: هل لك حاجة؟ قال: (أما إليك فلا) وانظري إلى غاية الصدق، لم يلتفت قلبه إلى جبريل، هذا قمة التوحيد والصدق في معاملة الله، أنت الآن وأنت في مسيرك إلى الله لن تصل كما ينبغي صادقًا إلا عندما ينقطع قلبك عن كل أحد. تأتين تقولين: لكن هذه أسباب!! نقول: انظري كيف عامل إبراهيم جبريل قال له: (أما إليك فلا وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل). المعنى: أنك في الحياة تأتيك أزمات فالمطلوب أن يبقى قلبك متعلق بالله، ويأتيك في وسط هذه الأزمات أحد يقول لك: لا تخف، سأعطيك ما تريد، سأفعل لك، اطمئن. لا تطمئن لأحد غير الله لا يبرد قلبك أبدًا برغم وجود الأسباب. ما المطلوب أن نفعل؟ هل المطلوب أن نقلق؟ لا، بل ننكسر ونذل ونزداد تعلقًا به، ولا نجد في قلوبنا استرخاء، طالما الغمة موجودة، عليك بالدعاء والنداء. حتى لو أتت الأسباب؟ حتى لو أتت الأسباب، ابقَ متعلقًا بالله ولا تركن إلى أن تمر الأزمة، فإذا مرت الأزمة لا تكن مثل ما وصف في سورة يونس من حال أولئك القوم الذين تردد حالهم بين دعاء شديد ثم الغفلة الشديدة، لا تكن مثل هذا الذي قال الله فيه: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ}[1] ينسى ربه لا شكر لا ذكر لا تعامل مع الله. فأنت الآن تأمل هذه المسألة جيدًا واجعل مدخلك صدق ومخرجك صدق، لا تتقلب في تعلقاتك ولا بد أن يُختبر تعلقك، قال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[2] لابد أن تفتن {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}[3] لكن أين ذهب صدق الناس؟ أين ذهبت دعواهم؟ انظر في سورة المنافقون ستجد عجبًا في ختم السورة، ختمت السورة بالنهي عن أمر غاية في الخطورة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[4] المعنى أنك يا عبد التهاؤك وجريك وراء أموالك وأولادك سيشغل قلبك عن تحرير مدخلك ومخرجك فتصور مدخلك ومخرجك –أي

(١) سورة يونس: ١٢.
(٢) سورة العنكبوت: ٢.
(٣) سورة العنكبوت: ٣.
(٤) سورة المنافقون: ٩.

حركتك الدائمة- تحتاج منك إلى صدق. فيا ربنا كلنا لا نملك أن نجعل مداخلنا صدق إلا أن تجعلها لنا {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ}[1] واعلم أن من كان هذا حاله كما بشره الله سيكون له قدم صدق عند ربه، وقدم الصدق أي: ما قدمه من الأعمال الصالحة، ثم في نهاية الأمر سيكون له مقعد صدق وهو: الجنة عند الرب تبارك وتعالى. فيكون لهم قدم صدق وهو: الجزاء الموفور والثواب المدخور عند ربهم ثم يكون لهم مقعد صدق ألا وهو: جنات النعيم، نسأل الله -عز وجل- بمنه وكرمه أن يجعلنا أهلًا لهذا الوصف.

والحقيقة أن الصدق يشمل مقامات الدين كما ذكرنا في آية البقرة فهو من أصعبها وأكثرها حاجة إلى التحرير، وأنتم تعلمون أن الفارق بين النفاق والإيمان هو الصدق، والمؤمنون كما تعلمون من شدة خوفهم يضطربون فيخافوا صفات المنافقين؛ ولذلك كما أورد البخاري في صحيحه معلَّقا على ابن أبي مليكة التابعي المشهور: قال: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كلهم يخشى على نفسه النفاق). فأصبح هذا الوصف الذي هو: تحرّي الصدق والخوف من النفاق. وصف كمال فلا تحمل هم أن تخاف، احمل هم ألا تخاف. نسأله -سبحانه وتعالى- بمنه وكرمه أن ينزل علينا رحماته وأن يلطف بقلوبنا ويصرف عنّا أسباب الفتنة واعلم أن من علامات الصادقين: التحبب إلى الله بالنوافل، والإخلاص في نصيحة الأمة، والأنس بالخلوة، والصبر على مُقاساة الأحكام، والإيثار لأمر الله، والحياء من نظره، فنسأله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا إلى ما يعلم أنه خير لنا، اللهم آمين.

(١) سورة الإسراء: ٨٠.

الشرط السادس: الإخلاص

نكمل ما ابتدأناه في الكلام حول شروط (لا إله إلا الله) مر معنا:

الشرط الأول وهو: (العلم).

واتفقنا أن معناه: العلم بـ (لا إله إلا الله) كما أمر –سبحانه وتعالى– بالعلم عنه.

فقال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إله إلا الله}[١] وقال: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُون}[٢] فشهادة الحق: (لا إله إلا الله) هي الشهادة الحق، فلا تكفي إلا لمن شهدها وهو يعلم، والله –عز وجل– في كتابه بيَّن الوصف والمدح لمن علم عنه، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء}[٣] فالعلماء هم أهل الخشية {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[٤] فمن علم عن الله هو أرفع منزلة وأعظم مكانة عند الله، والرسول –صلى الله عليه وسلم– قال: ((مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ.))[٥] ثم اعلم أن العلم لا ينفعك إلا بـ

الشرط الثاني وهو: (اليقين).

وهو طمأنينة القلب إلى ما تعلّمه، فلا يتسرب إلى قلب المتيقن أي شك يبذره الجن أو الإنس.

ولذلك إذا نظرت إلى حال يعقوب وسمعت قوله العجيب الذي يخالف فيه حال الناس: {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[٦] إذا نظرت إلى هذه الحال ثم نظرت إلى حال أكثر الناس الذين قال الله في وصفهم، مثلًا في سورة هود: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ}[٧] فترى الذي فرَّق يعقوب عن غيره من الناس: ما معه من علم يقيني بسببه {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} أي: أنّ الذي يحملني على هذا الحال: أني أعلم من الله ما لا تعلمون، ثم انظري ماذا قال بعدها: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}[٨].

وهذه القصة حدثت في ثلاثين سنة، ثلاثون سنة ورجاؤه لم ينقطع بالله أن يجمعه بيوسف، فانظر إلى الناس الذين إذا أذاقهم الله –مجرد ذوق، شيء بسيط– النعماء ماذا يحصل لهم؟

---

(١) سورة محمد: ١٩.
(٢) سورة الزخرف: ٨٦.
(٣) سورة فاطر: ٢٨.
(٤) سورة الزمر: ٩.
(٥) أخرجه مسلم (٢٦).
(٦) سورة يوسف: ٨٦.
(٧) سورة هود: ٩.
(٨) سورة يوسف: ٨٧.

- إذا أذاقهم النعماء؛ كانوا من أهل البطر.
- وإذا مسّتهم الضراء؛ كانوا من أهل اليأس.

لكن الذي يمنعك من أحوال هؤلاء الناس: شدة يقينك بما تعلّمته عن الله؛ ولذلك من أحسن ما يكون في شرح الشروط: أن تصف حال الإنسان المتيقن وأن تصف الإنسان ضعيف اليقين.

١) نضرب مثالًا بحال الإنسان المتيقن: **بيعقوب عليه السلام.**

٢) ونضرب مثالًا لحال معدوم الإيمان أو ضعيفة بما ضربه الله من مثل: **في يونس و بما ضرب الله مثلًا في هود.**

ولذلك من المهم جدًا أن تعرف أحوال الناس لأنك عندما تريد أن تختبر يقينك الذي في قلبك؛ انظر إلى نفسك عندما يذيقك الرحمة وعندما يمسّك الضر، كيف تعتقد وتظن في ربك؟! ما تعتقده وتظنه بربك هذا الذي تعلمه وتتيقن به.

ثم اعلم أنه –سبحانه وتعالى– ألزمك لوازم بعد أن أنعم عليك بنعمة العلم ورزقك اليقين، **ما هي هذه اللوازم؟**

الشرط الثالث وهو: (القبول).

القبول للشريعة: أن تجد قلبك سمحًا بها {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}(١).

ولذلك تعلم أن **الكبر على الشريعة** يمنعك من قبولها، فلابد أن تقبل كل ما اقتضته هذه الكلمة وتعلم يقينًا أن الله أمرك أن تكون مستسلمًا قابلًا منكسرًا خاضعًا للشريعة لا تكن مثل الذين قال الله فيهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إله إلا الله يَسْتَكْبِرُونَ}(٢).

لا تكن مثل هؤلاء يستكبرون عن طاعته والانكسار له والتذلل له، ثم اعلم أنه يجب عليك العلم بـ:

الشرط الرابع وهو: (الانقياد).

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.
(٢) سورة الصافات: ٣٥.

أن تنقاد إلى كلمة (لا إله إلا الله): أن تُسلم له تمام الإسلام {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ}(١).

فلا تعتقد أن قبولك للشريعة واستحسانك لها ومدحك لها يكفيك عن أن تنقاد لها، بل لابد أن تعتقد يقينًا أن (لا إله إلا الله) وراؤها لوازم، فلابد أن تتَّبع ما يلزمك وتُذْعَن له ولا يمر في خاطرك أن تنتقد شيئًا من أفعاله أو أوامره، فاقبل وارضَ بالله ربًا، ثم انقاد إلى شرعه وقدره؛ ولذلك نعبر عن القبول بـ: "الرضا عن الله" الرضا عن الله، الرضا عن شرعه، الرضا عن أقداره. القابل لـ (لا إله إلا الله) هو ذاك اللسان الذاكر: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولًا.

فإذا وجدت نفسك راضيًا حقيقية؛ لابد أن تجد من نفسك عملًا فتنقاد لما يحب الله ويرضى، وانظر كيف أثنى الله على إبراهيم عليه السلام: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}(٢) أي: استسلمت فأتقلب في حياتي على ما يرضيه؛ لأن ليس لي متعلق أرجو رضاه إلا هو ولا معظم أخشى سخطه إلا هو، فتحب ما يحبه وتبغض ما يبغضه. وهذا الكلام سيزداد بيانه عندما نصل لمسألة المحبة.

الشرط الخامس وهو: (الصدق).

ثم أتى شرط الصدق الفاصل الذي نرجو من الله أن نكون أهله، واعلم أن الله –عز وجل– أمر نبيّه أن يدعو بهذا الدعاء قال له: {وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا}(٣).

أي: اجعل مداخلي ومخارجي في طاعتك ومرضاتك.

فأنت صادق في تقلباتك لا تريد إلا رضاه قلبك مشتاق إلى رضاه فتتقلب فيه وهذا سيتضح لك الآن عندما نذكر لك:

- **الفرق بين الصدق واليقين:**

اليقين: هو اعتقادك أن ما أنت عليه حق، ثم تدفع هواك وتجد نفسك في كل أحوالك متحرّيًا رضاه.

---

(١) سورة الزمر: ٥٤.

(٢) سورة البقرة: ١٣١.

(٣) سورة الإسراء: ٨٠.

وأهل الإسلام جميعهم يعتقدون أنهم على الحق لكن عندما يتقلبون في أحوالهم، في مداخلهم ومخارجهم، محركاتهم أي ما الذي أخرجك؟ ما الذي أدخلك؟ ما الذي جعلك تتحرك؟ ماذا تريد من وراء هذا كله؟

إنه الصدق، فكون أنك تشتاق إلى رضاه فلذلك تحركت، وتحب أن تتقرب منه وأن يرضى عنك فهذا هو مدخل الصدق ومخرج الصدق، فصاحبه يعمل بالله ولله وبأمره ولابتغاء مرضاته فهو دائمًا مشتاق إلى رضاه.

الشرط السادس وهو: (الإخلاص).

ثم الإخلاص يكون لحظة قيامك بالعمل، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- خرج من المدينة إلى أُحُد وقريش خرجت من المدينة إلى أُحُد، مخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- كان صدقًا ومخرج قريش كان كذبًا، المخرج أي: الذي حرّكك. ثم لما بلغوا الحرب ظهرت الفوارق بين هؤلاء الذين خرجوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- حال المعركة، فالإنسان وقت قيامه بالعمل -وليس حال التحرك- يظهر أنه لا يريد بعمله إلا وجه الله، لابد أن تكون مستحضرًا وقت القيام بالعمل أنك لا تريد بهذا العمل إلا وجه الله **فالشوائب في الإخلاص تكون بأن يلتفت قلبك إلى غير الله مدحًا أو خوفًا من الذم**؛ ولذلك كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ.))[1].

فليست العبرة أن تجعجع بالكلام! العبرة أن يكون مرادك من هذه الأعمال هو رضاه سبحانه وتعالى؛ ولذلك في سورة النساء لما وصف حال المنافقين قال: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلّا الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}[2] فأنت تجدهم محتاجين في كل موطن يعملون فيه العمل أن يردوا أنفسهم إلى مراد الله في كل موطن.

فالمقصد الآن: أن الفرق بين الصدق والإخلاص يدور حول الأعمال؛ بمعنى أنك في مجمل حياتك، مدخلك ومخرجك تكون صادقًا فيه، الذي يبعثك على القيام بالعمل هو: رضا الله سبحانه وتعالى.

- **هذا هو الصدق: باعثك على القيام بالعمل.**

وحين تأتي إلى نفس الأعمال تجد في كل عمل في أثنائه

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) سورة النساء: ١٤٦.

- **الإخلاص، أي: أنك تحرر في أثناء العمل أنك لا تريد إلا وجه الله، وأنت تعلم أنّ الحياة تتقلب بك فأنت في كل الأحوال تريد أن تكون على ما يرضي الله.**

فالصدق يكون في أحوال أنت ليس لك علاقة بها؛ بمعنى أتتك سرّاء، الصدق الآن: أن تكون شاكرًا. أتتك ضرّاء، الصدق الآن: أن تكون صابرًا، فتأتيك أحوالًا من كل جهة ألست تريد رضا الله؟

- **إذًا سنقول لك:** رضا الله إن كنت صادقًا مشتاقًا إلى رضاه: أن يكون قلبك راضيًا عن الله، إذا كنت صادق لابد أن يقع في قلبك أنك راضٍ عن الله، تشتاق أن تعرف الآن في هذه اللحظة: ماذا يحب الله من أجل أن تفعله.

الإخلاص يأتي أضيق من الصدق، إذا اجتمع الإخلاص والصدق في السياق، يصبح الصدق أعمّ من الإخلاص:

فالصدق في متقلباتك كلها.

والإخلاص حال قيامك بالعمل الصالح.

ستقولين: هل في حال صبري الآن يمكن أن أرائي الناس؟ صحيح، لحظة الصبر ذكِّر نفسك بأن الله يحب منك أن تصبر، فسأصبر من أجل رضاه. **لكن قد يأتي من يُثني على صبرك ماذا يحصل؟** الآن أتى الاختبار في الإخلاص.

وهذا من أصعب المفاهيم: أن تلاحظ نفسك -بواعثك التي بعثتك على العمل-، ثم بعدما كانت البواعث طيبة مباركة، خرجت من أجله، اختلط عليك الأمر فأشكل عليك إخلاصك! ولذلك يخرج الحُجّاج من بيوتهم فهذا مخرج اسأل الله أن يخرجك مخرج صدق، يخرج الناس من بيوتهم مريدين وجه الله لمن كان صادقًا، ثم يصلون إلى الحج ويختلطون بالناس، فقد تتشوَّش نياتهم وتتشوش مراداتهم، فتجده يحسن في صلاته وفي دعائه ملاحظًا ملاحظة الناس وتغيب عن خاطره إرادة وجه الله!

المهم اعلم أن وقت إقبالك على العمل الصالح ومخالطتك للحياة وإقبالك على العمل الصالح كل هذا يحتاج إلى صدق، يجب أن تكون صادقًا في كل أحوالك، "صادق" أي أنك تريد وجه الله وهذا الأمر يؤدي بك إلى الإخلاص. نقول: "في كل أحوالك تريد وجه الله" أي: تشتاق إلى رضاه، تتمنى أن تكون كل أنفاسك لا تفعلها إلا موافقة لرضاه، **فتجد الصدق:**

- **يحملك على العلم.**

- **وعلى ملاحظة سنة النبي صلى الله عليه وسلم.**
- **وعلى الانقياد القوي.**

كل هذا صدقًا لأنك تريد وجه الله.

الشرط السابع: المحبّة

المحبة آخر شروط كلمة التوحيد وتأتي بمجموعها فكل من تعلم عن الله وعلم كمال صفاته، وتيقن بصفاته سبحانه وتعالى، ووقع في قلبه القبول والانقياد فرضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا وانقاد لما وقع في قلبه من استسلام، وكان صادقًا في تقلباته معظمًا فيها لله راضيًا عنه، وعمل الأعمال لا يريد إلا رضاه لابد أن تقع في قلبه: محبة الله، واعلم أن أعظم ما في محبة الله **وأهم العلامات هي:**

حب ما يحبه الله فترى هذا متلهفًا على القيام بكل ما يحبه الله جامعًا قلبه على أن كل ما قال الله فيه {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}(١) {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}(٢) كانت غاية أمانيه أن يكون من هؤلاء، فاعلم أن حبه –سبحانه وتعالى– فوق وصف الواصفين، لكن طريقة تحقيق ما مضى من شروط وعلامة حب الله:

حب ما يحبه الله والحرص على أن يوافق العبد مراد الله؛ ولذلك قال الله عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}(٣) .

واعلم أن الناس اتخذوا مع الله أندادًا في المحبة فتعلموا عن غير الله وتيقنوا بغيره وتراهم مستسلمين منقادين صادقين في حب الدنيا وأهلها وفي حب أنفسهم، مخلصين في صرف أوقاتهم لغير الله فلا ترى في قلوبهم إلا محبة غيره! ثم انظر إلى من ابتلوا بالتّشيّع والرّفض يذكرون غير الله ويحبون غير الله ويثنون على غير الله أكثر مما يثنون على الله! ولذلك نحن نسأل الله عز وجل: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" لأن هذه كلها عواطف نفسية تتقلب وتتغير ولا يدرك الإنسان تغييرها لو أهمل قلبه.

فهذه الشروط تحقيقها يكون بقوة العناية بالقلب، نسأله سبحانه أن يزيدنا علمًا وفهمًا وبيانًا وتفريقًا بين حال أهل التقوى والإيمان واليقين وبين حال النفاق والكفر والفسوق نعوذ بالله من حالهم.

بهذا نكون ذكرنا طرفًا من المفاهيم من شروط (لا إله إلا الله) وإن كنا في الشرطين الأخيرين لم نعطِ المسألة حقها، لكن نعتذر إلى الله –عز وجل– لأن هذا ما تيسر لنا، نسأله سبحانه أن يمد في أعمارنا لنزداد علمًا، ونطلب رضاه ونسأله سبحانه أن يعلمنا ما يزيدنا ثباتًا ويقينًا على دينه ويصرف عنا الأهواء.

يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، نسأله –سبحانه وتعالى– أن يجمعنا في خير حال.

---

(١) سورة البقرة: ١٩٥.

(٢) سورة التوبة: ٤.

(٣) سورة محمد: ٩.

الفهرس

مقدّمة شروط لا إله إلّا الله ١
الشرط الأول: العلم ٩
الشرط الثاني: اليقين ١٧
الشرط الثالث: القبول ٢٨
الشرط الرابع: الانقياد ٣٥
الشرط الخامس: الصدق ٣٩
الشرط السادس: الإخلاص ٤٧
الشرط السابع: المحبّة ٥٤